عمر الناصر

كانت لنا أيام

BOBST LIBRARY
3 1142 00781 4562

DATE DUE

BOBST
OCT 26 1983
GEAC N.Y.U GEAC

BOBST
NOV 23 1983
GEAC N.Y.U GEAC

NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY
CIRC
OCT [illegible] 1985
CIRC
70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

كانت لنا أيام

al-Nuṣṣ ʿUmar

Kānat la-nā ayyām.

عمر النص

دكتور في الحقوق

كانت لنا أيام

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

Near East
PJ
7852
.U8
.K3
1958
c.1

الطبعة الثانية

لا تذكري الشوك...

خيالكِ ندَّ فمَنْ أطلقَهْ
وطَرْفُكِ حارَ فمَنْ أرَّقَهْ
وصَوْتُكِ أمْ حُلُمٌ مُتْعَبٌ
تَبوحُ بِهِ شَفَةٌ مُطْبَقَهْ !
فَدَيْتُكِ ! لا تُرْهِقي ناظِرَيْكِ
ولا تَنْبُشي الذِّكرَ المُحْرِقَهْ
شَبابُكِ فَيْضُ الرَّبيعِ السَّخِيِّ
فَلا تَتْرُكي الشَّوكَ أنْ يَعْلَقَهْ
طَلَعْتِ فأوْرَقَ فِيَّ الشَّبابُ
وهَدْهَدْتُ أضْلاعِيَ المُرْهَقَهْ

وطافَ اسْمُكِ الحُلوُ في خاطِري

فَلَمْ يَجرُؤِ الفَمُ أنْ يَنْطِقَهْ

فَرَدَّدْتُـــهُ في الفُؤادِ الشَّجِيِّ

فَكادَ مِنَ الشَّوْقِ أنْ يُحْرِقَهْ

وأَشْفَقْتُ مِنْ أَلَمي أنْ يُفيقَ

فَتَكْدُرَ آفاقُكِ المُشْرِقَهْ

وفي مُقْلَتَيْكِ نِداءُ الحَيـــاةِ

فَكَيْفَ أُحـاوِلُ أنْ أَخْنُقَهْ ؟

وأَلْفَيْتُني أَسْتَحِثُّ الخَيْـــالَ

وأَهْتِفُ بِالأَنْجُمِ المُحْـدِقَهْ

وأَقْرَأُ في طَرْفِكَ الشّاعِرِيِّ

أَقاصيصَ أيّامِنا المورِقَهْ !

فَدَيْتُكِ ! كَيْفَ طَوَيْتِ ٱلْكِتابَ
وأَشْفَقَ قَلْبُكِ أَنْ يُزْهِقَهْ
وَكَيْفَ أَفاقَ ٱلْفُؤادُ ٱلْخَلِيُّ
فَبـــاحَ بِأَشْواقِهِ ٱلْمُغْلَقَهْ ؟
أَأَحْلُمُ ؟ أَمْ هٰذِهِ مُقْلَتي
تُطالِعُ نَظْراتِكِ ٱلْمُشْفِقَهْ
وَما ذاكَ ! إِنِّي أُحِسُّ ٱلْجُفونَ
تَفيضُ بِتَسْليمَـةٍ شَيِّقَـهْ
تَكادُ تَبوحُ بِها ٱلشَّفَتانِ
وتَفْضَحُها ٱلنَّظْرَةُ ٱلْمُطْرِقَهْ !
أَأَخْطَأْتُ يا أُخْتُ لَمّا رَمَيْتُ
إِلَيْكِ بِفِلْذاتِيَ ٱلْمُقْلِقَهْ ؟

لِماذا أُثيرُ ٱلْمُنىٰ ٱلْغافِياتِ
وَأُوقِظُ أَحْلامَنا الْمُخْفِقَهْ
وأَنْكَأُ جُرْحَكِ ذاكَ ٱلْعَميقَ
وأُغْري خَيالَكِ أَنْ يَرْمُقَهْ
لَئِنْ كُنْتُ أَمْقُتُ هٰذا ٱلأَنينَ
فَلِمْ لا أُحاذِرُ أَنْ أَنْطِقَهْ
فَكَمْ خاطِرٍ لَمْ تُطِقْهُ ٱلضُّلوعُ
فَأَرْسَلْتُهُ زَفْرَةً مُحْرِقَهْ
تَنَهَّدَ في ٱلطَّرْسِ حَتّىٰ بَراهُ
وأَوْشَكَ يَمْحَقُ ما نَمَّقَهْ
أَعَدْتُ قِراءَتَهُ فَٱكْتَوَيْتُ
وكِدْتُ مِنَ ٱلرَّوْعِ أَنْ أَمْزِقَهْ !

فَدَيْتُكِ ! هٰذا لُهاثُ ٱلعَذابِ
تَضيقُ بِهِ ٱلأَضْلُعُ ٱلموثَقَهْ
ولَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ كَيْفَ يَكونُ
صَداهُ .. لآثَرْتُ أَنْ أَصْعَقَهْ !

* * *

فَدَيْتُكِ ! لا تَسْأَلي لِمْ أَنوحُ
وأَنْدُبُ أَيّامِيَ ٱلْمُمْلِقَهْ
أَنا ضائِعٌ أَنْكَرَتْهُ ٱلْحَياةُ
وعافَ ٱلطَّريقَ ٱلَّذي أَزْهَقَهْ
ولَوْ كُنْتُ أَبْني غَدي في ٱلْخَيالِ
لَما خِفْتُ يا أُخْتُ أَنْ أَسْرَقَهْ
ولٰكِنَّهُ حَفْنَةٌ مِنْ دَمي ..
وذَوْبُ حُشاشَتِيَ ٱلْمُرْهَقَهْ

عَهِدْتُ بِهِ لِلَّذي تَصْطَفِينَ
فَبَدَّدَ أَعْراسَهُ ٱلشَّيِّقَهْ !
فَدَيْتُكِ ! لا تَفْرَقي إِنْ زَفَرْتُ
ولا تَسْأَلي ٱلْقَلْبَ مَنْ مَزَّقَهْ
ولا تَذْكُري ٱلشَّوْكَ إِنِّي ٱرْعَوَيْتُ
وعَوَّذْتُ راحَكِ أَنْ تَعْلَقَهْ
ولَوْ أَنَّني ٱسْطَعْتُ بِعْتُ ٱلْحَياةَ
وجُدْتُ بِأَنْفاسِيَ ٱلرَّيِّقَهْ
وجِئْتُ إِلَيْكِ أَشُقُّ ٱلْغُيومَ
وأَصْدَحُ بِٱلْغُنْوَةِ ٱلْمُشْرِقَهْ
وأَطْوي أَسىً أَنْكَرَتْهُ ٱلضُّلوعُ
وشاءَ فُؤادُكِ أَنْ أَخْنُقَهْ !

١٩٥٠

دعي لي الذكريات...

وَأَدْتُ رَغائِبي وطَوَيْتُ عَهْدي
وعُدْتُ إِلىٰ ٱلطَّريقِ أَسيرُ وَحْدي
أُحَدِّقُ في ٱلفَضاءِ وَخَلْفَ هُدْبي
خَيالُ مَواثِقٍ وَرُفاتُ وَعْدِ !
يكادُ ٱلأُفْقُ يَوْقَرُ عَنْ شَكاتي
وَتَعْثُرُ فيهِ أَفْكاري وَتُكْدي
وَفي عَيْنَيَّ أَشْواقٌ حَيارىٰ
تَبوحُ بِلَهْفَتي وَتَشي بِوَجْدي
فَدَيْتُكِ ! قَد سَئِمْتُ خَواءَ يَوْمي
وَنُؤْتُ بوَحْشَتي وَضَلَلْتُ وِرْدي

تَرَكْتِ لِيَ ٱلْفَراغَ فَأَيْنَ أَخْطُو ؟

وَمِلْتِ عَنِ ٱلطَّريقِ فَضاعَ قَصْدي

دَعي لي ٱلذِّكْرَياتِ ! لَعَلَّ فيها

بَقِيَّةَ رَحْمَةٍ وَسَرابَ وُدِّ

أُهَدْهِدُ ناظِرَيَّ بِها وَأَغْفو

عَلىٰ حُلُمَيْنِ : مِنْ ثِقَةٍ وَسَعْدِ !

فَدَيْتُكِ ! كَيْفَ أُوغِلُ في طَريقٍ

يَكادُ عَلىٰ ثَراهُ يُخَطُّ لَحْدي ؟

حَياتي نِقْمَةٌ وَشَجاً وَيَأْسٌ

فَكَيْفَ أَعيشُها بِدَمي وَجِلْدي

تُراوِدُني . . . فَتَخْذُلُني عُروقي

وَتَخْدَعُ ناظِري وتُثيرُ زُهْدي

فَآمُلُ أَنْ تَرُدَّ عَلَيَّ زَهْوي

فَتَسْأَلُني ٱلرُّؤىٰ : أَنَقَضْتَ عَهْدي ؟

أُطَأْطِىءُ عِنْدَها رَأْسي وَأَمْشي

بِذِلَّةِ قانِطٍ وَمَلالِ عَبْدِ !

أَخافُ مِنَ ٱلسِّنينَ تَفُلُّ بَأْسي

وَتوهِنُ مِرَّتي وَتَشُلُّ زَنْدي

وَأَفْرَقُ إِنْ سَلَوْتُ ذَهابَ حُلْمٍ

وَقَفْتُ عَلَيْهِ أَشْواقي وَوُدّي !

تَكادُ كَآبَتي تَطْغىٰ وَتوري

ظَماءَ مَحاجِري وَأُوارَ كَبْدي

دَعي لي ٱلذِّكْرَياتِ ! تَرِقُّ نَفْسي

وَتَهْدَأُ ثَوْرَتي وَيَقَرُّ حِقْدي

وَأَلْتَمِسُ ٱلْحَيَاةَ خِلالَ ذِكْرىٰ
كَتَبْتُ سُطورَها بِدمي وَسُهْدي !

* * *

فَدَيْتُكِ ! قَدْ نَكَأْتِ جِراحَ قَلْبي
فَأَيَّةَ جَذْوَةٍ أَبْقَيْتِ عِنْدي !
دَعي لي ٱلذِّكْرَياتِ ! فَكَمْ ظَلامٍ
طَفِقْتُ أَبُثُّهُ أَلَمي وَوَجْدي
أُلَمْلِمُ فيهِ أَخْيِلَةً يَتامىٰ
تَنوحُ لِخَيْبَتي وَتَخافُ فَقْدي
إِذا هَدْهَدْتُها ٱضْطَرَبَتْ وَجاشَت
وَكادَ زَفيرُها يُودي بِرُشْدي !
أَنا هَيْمانُ في أَوْداءِ ماضٍ
مَلَأْتُ شِعابَهُ بِشَذىً وَوَرْدِ

تَرَكْتُ بِهِ ٱلشَّبابَ وَجِئْتُ أَبْكي
ذُبولَ بَراعِمي وَأُفولَ جَدّي !
وَكانَ هَواكِ يمْلَأُ لي حَياتي
وَيَبْعَثُ عَزْمَتي وَيُثيرُ قَصْدي
وَها أَنَذا أَدِبُّ عَلىٰ طَريقٍ
نَثَرْتُ عَلَيْهِ أَشْواقي وَسَعْدي !
فَدَيْتُكِ ! قَدْ أَطَلَّ خَريفُ عُمْري
فَأَيْنَ تَهَرُّبي مِنْهُ وَبُعْدي ؟
دَعي لي ٱلذِّكْرَياتِ ! فَكَيْفَ أَحْيا
إِذا أَفَلَ ٱلشَّبابُ وَكُنْتُ وَحْدي ! ؟

١٩٥٠

انتظار

أَقْبِلي أَقْبِلي ! فَقَدْ عَسْعَسَ ٱللَّيْلُ
وَغَامَ ٱلْفَضَاءُ في ناظِرَيَّا
السَّماءُ ٱلدَّكْناءُ تُرْهِقُ أَنْفا
سي وَتُلْقي ٱلنَّذيرَ في أُذُنَيَّا
أَقْبِلي ! فَٱلظَّلامُ يوقِرُ نَفْسي
نَزَواتٍ وَيُوقِظُ الشَّجْوَ فِيَّا
وَٱلرِّياحُ ٱلْغِضابُ تَلْطُمُ أَبْوا
بي وَتَبْكي وَراءَهُنَّ مَلِيَّا
وَٱلْحَيا دافِقٌ يَطيرُ مَعَ ٱلرّيحِ
وَتَجْري بِهِ سَخِيّاً .. سَخِيَّا

أَقْبِلي ! فَالظنونُ يا أُخْتُ تَأْبى

أَنْ أُحِسَّ النُّعاسَ في جَفْنَيَّا

وَأَنا في تَرَقُّبي أَفْتَحُ الْبا

بَ وَأَرْنو .. عَلّي أُطالِعُ شَيَّا

أَسْأَلُ اللَّيْلَ : ما وَراءَكَ يا لَيْلُ !

وَأُصْغي إِلى الرِّياحِ حَفِيَّا

أَنا في مَوْقِفي تُحَدِّقُ عَيْنا

يَ وَيَسْعى بِيَ الْخَيالُ قَصِيَّا

كُلَّما مَرَّ في الدُّجى ذو جَناحِ

كِدْتُ أَطْوي جَناحَهُ بِيَدَيَّا

وَكَأَنّي أَراهُ يُشْفِقُ مِنّي

فَيَكادُ الْفُؤادُ يَصْرُخُ : هَيَّا !

أيُّ شَيْءٍ تُرىٰ أعاقَكِ عَنّي
بَعْدَما أَرْهَفَ ٱلصَّدىٰ أُذُنَيَّا ؟
أيَّ دَرْبٍ سَلَكْتِهِ فَأَضَلَّتْ
فيهِ أَقْدامُكِ ٱلطَّريقَ إِلَيَّا
طالَ لَبْثي وَلَمْ أَزَلْ أَفْتَحُ ٱلصَّدْ
رَ وَأَسْتَقْبِلُ ٱلظَّلامَ ٱلْعَتِيَّا
كُلَّما صِحْتُ في ٱلْقَتامِ لِسارٍ
ضاعَ صَوْتي وَماتَ في شَفَتَيَّا !

* * *

إيهِ أُخْتاهُ ! لَمْ أَعُدْ أَرْقُبُ ٱلْأُفْقَ
وَأُذْري عَلىٰ ٱلطَّريقِ سِنِيَّا
أنا باقٍ هُنا أُجاهِدُ إِخْفا
قي وَأُخْفي ٱلْعَياءَ في ناظِرَيَّا

طـاشَ حِلْمي وَكِـدْتُ أَفْقِدُ صَبْري
وَتَجَلّىٰ ٱلشُّحوبُ في وَجْنَتَيَّـا !
أنـا باقٍ هُنـا وَقَدْ نَصَلَ ٱللَّيْـلُ
فَرُدّي لِيَ ٱلْخَيـالَ ٱلْغَوِيَّـا
وَدَعيني لِوَحْـدَتي ! أُغْلِقُ ٱلْبـا
بَ وَأَبْكي .. فَلَسْتُ آمُلُ شَيَّـا !

١٩٤٩

أقوى من اليأس

شَبابَ هَوانا ! لا عَـراكَ ذُبولُ
جَمالُكَ باقٍ والحنينُ طَويلُ
مُزِجْتَ بِقلبي فِلْذَةً إثْرَ فِلذةٍ
وغَلْغَلْتَ في روحي فكيفَ تَزولُ ؟
رُوَيْدَ اللَّيالي ! والدُّروبُ طَويلَةٌ
يَضيقُ بِهـا حُلْمٌ ويَعْثُرُ سُولُ
أَتُغْري بِيَ السلْوانَ والقلبُ مولعٌ
وقد أَوشكَتْ فيه الحياةُ تَدولُ ؟
إذا ذُكِرَتْ دُنْياهُ لَجَّ به الهوى
وجُنَّ اشتياقٌ واستفاقَ غَليلُ !

شَقيقَةَ روحي ! والحياةُ تُريبُني

ويُقْلِقُني منهـا الغَداةَ نُكولُ

خُذي بيَدي إنّي وقَفتُ عَلى الرّبى

وحِرْتُ إلى أيِّ الدروبِ أميلُ

أُنكِّسُ رأسي والدموعُ تَواثَبَتْ

وقد أَوشكَتْ لولا الحياءُ تسيلُ

وأَصْرِفُ أُذْني عَنْ أمورٍ كثيرةٍ

وفي أُذُني مِمّا رَوَيْتِ هَديلُ

وأَغرقُ في بَحْرٍ عَميقٍ منَ الرؤى

ويَشْغَلُني عمّا أُريدَ ذُهولُ

وتشرُدُ أفكاري إليكِ كأنّما

أهابَ بها داعٍ إليكِ طَويلُ

أمامي غَدٌ قَفْرٌ يَكادُ يَضيقُ بي

وخَلْفِيَ من ذاكَ النعيمِ حُقولُ !

وتسألُني عَيْناكِ : هَلْ يخلُدُ الهوىٰ ؟

وقَلْبُكِ في قَلْبي يَرىٰ ويَقولُ !

لنا الحبُّ ـ دونَ الناسِ ـ والخُلْدُ والصِّبا

وللناس ـ ما نُبْقي الغداةَ ـ فُضولُ

أقاصيصُنا تُرْوىٰ لمنْ جاء بَعْدَنا

وتُعْقَدُ أَسْمارٌ لها وفُصولُ !

وكيفَ يقولُ الناسُ : ماتَ غَرامُنا

وفي كلِّ ما نُبْدي عَلَيْه دَليلُ

لنا أُفُقٌ نسْعىٰ إليهِ لنلْتَقي

إذا ذَهَّبَ الغيْمَ الرقيقَ أَصيلُ

وَجَدتُكِ في يَوْمي وَأَمْسِ ٱلَّذي ٱنْقَضىٰ
وَلي حَيْثُما أَمْضي إِلَيْكِ وُصولُ
وَأَغْلَقْتُ قَلْبي دونَ كُلِّ صَبابَةٍ
فَلَمْ يَثْنِهِ عَمَّا عَرَفْتِ بَديلُ
فَأَنْتِ مَعي فيما جَهَدْتُ لِنَيْلِهِ
وَأَدْرَكَني مِنْهُ وَنىً وَنُحولُ
وَأَنْتِ مَعي فيما أُحاوِلُ في غَدي
وَيَصْبو إِلَيْهِ خاطِري وَيَميلُ
وَأَنْتِ مَعي في كُلِّ دَرْبٍ قَطَعْتُهُ
وَأَنْفَقْتُ فيهِ ٱلْعُمْرَ وَهْوَ طَويلُ
إِذا أَخْمَدَتْ دُنْيايَ كُلَّ تَوَثُّبٍ
وَأَوْشَكَ أَنْ يَعْرو ٱلشَّبابَ خُمولُ

تَراءيْتِ لي في كُلِّ أَمْرٍ أَخافُهُ
فَأَشْرَقَ مُرْبَدٌ وَضاءَ سَبيلُ !

* * *

شَقيقَةَ روحي ! لا يَرُعْكِ تَجَنُّبٌ
وَدَهْرٌ ضَنينُ ٱلرّاحَتَيْنِ بَخيلُ
صَباباتُنا بِنْتُ ٱلْخُلودِ ... فَما لَها
وَإِنْ دَهَمَتْها ٱلْحادِثاتُ أُفُولُ
فَلا ٱلْيَأْسُ يَثْنيها إِذا خَبَتِ ٱلْمُنى
وَلا زَهْوُها فيما يَحولُ يَحولُ !
هَوىً قَدَّسَتْهُ ٱلأَرْضُ مُنْذُ وُجودِهِ
وَحَدَّثَ عَنْهُ في ٱلسَّماءِ رَسولُ

لَئِنْ رَهِقَتْ أَنْفاسُنا في لَهِيبِهِ
فَما زالَ فيها مِنْ شَذاهُ ذُيولُ
يَهُمُّ بِهِ ٱلدَّهْرُ ٱلْأَثيمُ ضَلالَةً
فَيَرْجِعُ عَنْهُ ٱلدَّهْرُ وَهْوَ كَليلُ
فَفي ٱلْقَدَرِ ٱلْمَسْطورِ كانَ قُدومُهُ
فَكَيْفَ إِذا حُمَّ ٱلْفِراقُ يَزولُ ؟ !

١٩٤٨

غفراء

أَنْتِ وَٱلْحُبُّ مالِئانِ كِيانِي
فَٱغْفِري لي إذا أَدَّعاكِ حَناني
إغْفِري لي إذا جَعَلْتُكِ مِحْرا
بَ شَبابٍ مُعَذَّبٍ لَهْفانِ
أَوْمَأَتْ نَحْوَهُ ٱلسُّنونُ فَلَمّا
صارَ فيها لَمْ يُلْفِ غَيْرَ دُخانِ !
أَنا طَيْرٌ يا أُخْتُ تاهَ مَعَ ٱلرّيحِ
وَضَلَّتْ في مُقْلَتَيْهِ ٱلْأَمانِي

لَمْ يَجِدْ وَكْرَهُ فَأَقْبَلَ يَحْبو
مُتْعَبَ ٱلْخَطْوِ . . مُتْعَبَ ٱلْأَجْفانِ
أَبْصَرَتْهُ عَيْناكِ يَعْثُرُ في ٱلثَّلْجِ
وَيَعْيا بِٱلْقُرِّ وَٱلْحِرْمانِ
وَعَويلُ ٱلرِّياحِ يَمْلَأُ أُذْنَيْهِ
فَيُصْغي إِلَيْهِ في إِذْعانِ
كادَ يَقْضي . . لَوْلا إِهابَةُ وُدٍّ
مِنْكِ أَوْدَتْ بِيَأْسِهِ ٱلْيَقْظانِ
قَرَّبَتْهُ فَراحَ يَحْمَدُ فيها
نِعْمَةَ ٱلدِّفْءِ وَٱلْمُنى وَٱلْحَنانِ !

* * *

أَنْتِ ! يامَنْ سَلَكْتِ غَيْرَ طَريقي
وَتَعَثَّرْتِ . . فَٱحْتَواكِ جَنائي

إغْفِري لي إذا أَثَرْتِ بِيَ ٱلشَّوْقَ
فَأَسْلَمْتُ لِلْقُنُوطِ عِنَانِي
وَإذا ما سَلَوْتِنِي ذاتَ يَوْمٍ
وَسَلا عَهْدُكِ ٱلْجَدِيدُ مَكاني
وَتَوَلَّتْ يَدُ ٱلزَّمانِ بِماضٍ
نَقَشَتْهُ ٱلْحَياةُ في إنْساني
فَٱتْرُكيني أَعُدْ إلىٰ ظُلْمَةِ ٱلْيَأْسِ
وَأَدْفِنْ بَشاشَتي وَأَماني
وَٱغْفِري لي إذا بَكَيْتُ وَضَجَّتْ
كَلِماتُ ٱلْعِتابِ فَوْقَ لِساني !
أَنا غادٍ إلىٰ ٱلدُّجىٰ أَنْطَوي فيهِ
عَلىٰ ما أُحِسُّ مِنْ أَحْزانِ

وَأُداري لَهيبَهـــــا خَلْفَ أَضْلا
عي وَأُخْفي عَنِ ٱلْعُيونِ هَواني
كُلَّمـــا غَمْغَمَ ٱلنَّسيمُ تَذَكَّرْتُ
فَخِلْتُ ٱلنِّـــــداءَ في آذاني !

* * *

أَنْتِ! يا مَنْ شَهِدْتِ أَجْمَـلَ حُلْمٍ
في زَماني .. فَكانَ كُلَّ زَماني !
إِغْفِري لي إِذا زُهِيتُ بِوُدٍّ
حَمَلَتْهُ لِيَ ٱلضُّـــــلوعُ ٱلحواني
فَإِذا ما رَأَيْتِ إِيمـــاضَ طَرْفي
وَإِذا ما لَمَحْتِ رَعْشَ كِيـــــاني
وَإِذا ما ذَكَرْتِ أَجْمَـلَ ماضٍ
قَدَّرَتْهُ عَلَى ٱلنُّجومِ يَدانِ

وَذَكَرْتِ ٱلشَّبابَ وَٱلْقَلَقَ ٱلْحَيَّ
وَرَجْعَ ٱلْحَنينِ وَٱلْأَشْجانِ
وَإِذا ما رَأَيْتِ يا أُخْتُ وَجْهي
في ذُهولٍ مُحَدِّقٍ وَٱفْتِنانِ
فَٱغْفِري لي أَنِّي نَسيتُ قُيودي
فَحَمَلْتُ ٱلسَّماءَ في أَجْفاني !

١٩٤٩

بقايا سراب

يا شـــــارِدَ ٱلْعَيْنَيْنِ ! لا تَنْظُرِ
فَلَيْسَ في أُفْقِكَ مِنْ بارِقَهْ
ٱلْفَجْرُ قَـــــدْ مَرَّ وَلَمْ تَشْعُرِ
وَغاضَتِ ٱلْأُمْنِيَّةُ ٱلدّافِقَـــــهْ !
يا قَبْضَةَ ٱلدَّهْرِ خُـــذي وَٱنْثُري
ما أَنْتِ إلاّ ٱلْقَبْضَةُ ٱلسّـــارِقَهْ
قَدْ كانَ ما كانَ . . فَلَمْ يُثْمِرِ
وَبَعْثَرَتْهُ ضَرْبَةٌ صـــــاعِقَهْ !

الأُفْقُ مَوْصودٌ ! وَهٰـــذي الرُّؤىٰ
تَتابَعَتْ في الْحَـــدَقِ الْمُطْبَقَهْ
فَحُلْمٌ ماتَ .. وَحُلْمٌ نَـــــأَىٰ
وَآخَرٌ يَجْهَدُ أَنْ يَلْحَقَـــــهْ
قَدْ حَدَّقَ الطَّرْفُ فَمـــاذا رَأَى ؟
بَقِيَّةً مِنْ صُوَرٍ مُحْـــدِقَهْ
يَطْمِسُهـــــا الْيَأْسُ إِذا أَوْمَأَ
فَتَئِبُ الرُّوحُ لَهـــا مُشْفِقَهْ !

* * *

لَمْ يُبْقِ لي الدَّهْـــرُ سِوىٰ خَفْقَةٍ
أَلْمَحُهـــا فَوْقَ أَدِيمِ التُّرابْ
دَنَوْتُ لَوْ تَنْفَعُ لي غُلَّتي
لٰكِنَّهـــا الْيَوْمَ .. بَقايا سَرابْ !

يا دَهْرُ هَـــلْ نَمْشي إلىٰ جَنَّةٍ
أَمْ أَنَّنا نَمْضي وَيَمْضي ٱلشَّبابْ ؟
ٱلرَّمْلُ قَـــدْ طالَ .. فَوالهَفَتي
هَلْ نُكْمِلُ ٱلسَّيْرَ إذا ٱلْقَصْدُ غابْ !

* * *

تَصَـــوَّحَ ٱلْعُمْرُ وَماتَ ٱلرَّجاءْ
وَأَنْتِ في غُرْبَتِكِ ٱلْكامِـــدَهْ ..
يا نَفْسُ ما ٱلْعَيْشُ ؟ وَهَلْ لِلْبَقـــاءْ
حَقيقَةٌ واحِـــدَةٌ .. خالِدَهْ
ٱلنّاسُ لِلْمَوْتِ ! فَما لِلشَّقـــاءْ
يَحْفِزُهُمْ لِلْحُفْرِ ٱلْبـــارِدَهْ
ما ضَرَّ لَوْ أَمْسَكَ كَفُّ ٱلْقَضاءْ
وَعَفَّ عَنْ بَعْضِ مُنىً بائِدَهْ !

يا لَهْفَةَ ٱلرُّوحِ خُذي مِنْ دَمي
بَقِيَّةً لاهِفَةً واريَهْ
تَسْتَوْفِزُ ٱلْقَلْبَ وَتُظْمي فَمي
وَتَسْتَثيرُ ٱلذِّكرَ ٱلْماضيَهْ
قَدْ ذَهَبَ ٱلْعُمْرُ فَلا تَنْدَمي
ما هُوَ إِلاّ خِدْعَةٌ بالِيَهْ
سِيّانِ إِنْ أَهْلَكْ وَإِنْ أَسْلَمِ
ما دُمْتُ لا أَمْلِكُ آمالِيَهْ !

* * *

يُقْلِقُكِ ٱلْغَيْبُ ! وَإِنّي أَراهْ
يَهْزَأُ يا نَفْسُ بِأَوْهامِنا
إِنْ يَخْنُقِ ٱلْيَوْمَ صَريرَ ٱلشِّفاهْ
لَنْ يَصِلَ ٱلدّاءُ لِأَرْواحِنا !

يا نَفْسُ لا يَغْرُرْكِ كُنْهُ ٱلْحَيَـاهْ
ما هِيَ إلا نَسْجُ أَحْلامِنَـا
أُسْطُورَةٌ نَحْنُ ! فَوالهَفْتَاهْ
لَمْ تَبْقَ مِنَّا غَيْرُ أَشْباحِنَـا !

* * *

مِنْ حُلْمِ نَبْني ! فَيالَيْتَنَـا
لَمْ نَعْرِفِ ٱلْحُلْمَ وَلَمْ نَبْنِهِ
في يَقْظَةِ ٱلْفَجْرِ نَذِيرٌ لَنَـا
يُمَزِّقُ ٱلرُّوحَ بِسِكِّينِـهِ . .
حَطَّمَنَـا ٱلدَّهْرُ وَما مَلَّنَـا
يا رِجْسَ مَنْ يُسْرِفُ في طَعْنِهِ
نَحْنُ حَضَنَّاهُ وَلٰكِنَّنَـا
لَمْ نَجْنِ غَيْرَ ٱلشَّوْكِ مِنْ حَضْنِهِ !

لَنْ أحدِجَ ٱلْافْقَ وَلنْ أَرْمُقَه
فَلَيْسَ غَيْرُ ٱلْقَزَعاتِ ٱلْعِجافْ
إخالُهـــا أشْرِعَةً مُغْرَقَهْ
أَعْوَزَها ٱلشَّطُّ وَطالَ ٱلْمَطافْ !
زُرْقَتُـــهُ فـــارِغَةٌ مُمْلِقَـهْ
تُنْكِرُها ٱلرُّوحُ . . فَيا لَلْجَفافْ
ٱلطَّرْفُ قَدْ شُدَّ فَمَنْ أَوْثَقَهْ
ٱلنَّجْمُ لَنْ يَطْلُعَ . . وَٱللَّيْلُ ضافْ !

* * *

هُنـــاكَ في رابِيَةٍ مُقْفِرَهْ
خَرْساءَ . . إلاَّ بُومَـــةً تَنْعَقُ
حَفيرَةٌ فـــاغِرَةٌ مُنْكَرَهْ
تَنْتَظِرُ ٱلرُّوحَ ٱلَّتي تَـــأْبَقُ

هُناكَ يا نفسُ لَنا مَقْبَرَهْ

مَقْبَرَةٌ تَحْضُنُ مَنْ يَزْهَقُ

يُلْقي بِها اليائِسُ ما أَوْقَرَهْ

وَيَسْتَريحُ التَّعِسُ المُرْهَقُ !

١٩٤٧

حرمان

أَتَكْفُرُ بي يا شَبابَ ٱلْمُنى
وَقَدْ وَهَبَتْكَ يَدايَ ٱلشَّبابْ ؟
طَغَتْ كِبْرِياؤُكَ حَتّى سَدَلْتَ
عَلَى ناظِرَيَّ نِقابَ ٱلْعَذابْ !
تَرَكْتُ لَكَ ٱلزَّهْوَ ... زَهْوَ ٱلصِّبا
وَوَدَّعْتُ تِلْكَ ٱلأَماني ٱلْكِذابْ
عَلَى مُقْلَتَيَّ يَلوحُ ٱلْعَياءُ
وَتُخْني عَلَى كَتِفَيَّ ٱلصِّعابْ

وَأَخْرَسْتُ في شَفَتَيَّ ٱللُّحونَ
وَأَطْبَقْتُ كَفيَّ فَوْقَ ٱلرَّبابْ
وَأَقْبَلْتُ أَنْثُرُ بَيْنَ يَدَيَّ
ثِمارَ ٱلْغُدُوِّ وَمَحْلَ ٱلْإِيابْ !
وَأَلْفَيْتُني في عُبابِ ٱلذُهولِ
أُقَلِّبُ طَرْفي خِلالَ ٱلسَّحابْ
أُحَدِّقُ عَلِّي أَمَسُّ ٱلْغُيوبَ
وَأُبْصِرُ ماذا وَراءَ ٱلْحِجابْ !
وَأَهْفو إِلىٰ حُلُمٍ لا أَراهُ
وَلٰكِنْ أُلامِحُهُ في ٱلضَّبابْ
يُطَوِّحُ بي في شِعابِ ٱلظُنونِ
وَيَقْذِفُ بي في دُجونِ ٱلْعِتابْ

أَفِرُّ لَهُ مِنْ لَهَاثِ ٱلْحَنِينِ
وَأَهْرُبُ مِنْ وَسْوَساتِ ٱلْعِقَابْ
نَفَرْتُ إِلَيْهِ أُرِيحُ ٱلْحَشَا
فَبَعْثَرْتُ فِيهِ ٱلْمُنَىٰ وَٱلرِّغَابْ !
فَضَاءٌ نَفَضْتُ عَلَيْهِ ٱلْيَقِينَ
وَضَيَّعْتُ فِيهِ ٱلظُّنُونَ ٱلْعِذَابْ
طَفِقْتُ أُؤَمِّلُ فِيهِ ٱلْحَيَاةَ
فَلَمْ أَلْفِ غَيْرَ ٱلْبِلَىٰ وَٱلْخَرَابْ
وَعُدْتُ إِلَىٰ ٱلْوَهْمِ أَسْقِي ٱلْخَيَالَ
فَغَصَّ ٱلْخَيَالُ وَجَفَّ ٱلشَّرَابْ
وَكُنْتُ ٱزْدَرَيْتُ ٱلسَّرَابَ ٱلْغَوِيَّ
فَمَنْ ذَا يُعِيدُ إِلَيَّ ٱلسَّرَابْ ؟

تَلاشىٰ ٱلشَّبابُ ... وَلَمّا يَكُنْ

سِوىٰ وَرْقَةٍ في ٱلرِّياحِ ٱلْغِضابْ

تَمَشّىٰ بِهـا ٱلْيَبْسُ قَبْلَ ٱلزُّهُوِّ

وَأَلْقَتْ بها الرِّيحُ فَوْقَ التُّرابْ !

١٩٤٨

أخاف أن أنسى

يَدَ الْأَيّامِ ! كَمْ أَخْشىٰ
عَلَى دُنْيايَ مِنْ غَدْرِكْ !
مَضىٰ الْحُلْمُ ... وَلَمْ يَنْجُ
سِوىٰ ماضِيَّ مِنْ أَسْرِكْ
فَما اسْتَسْلَمْتُ لِلَّوْمِ
وَلا اسْتَغْرَقْتُ في سِحْرِكْ
بَلِ ارْتَحْتُ إِلىٰ الْيَأْسِ
وَقُلْتُ : أَفِرُّ مِنْ شَرِّكْ !

مَضىٰ ٱلْحُـلْمُ ... وَلَمْ تَبْقَ
سِـوىٰ ذِكْراهُ في نَفْسي
أَخافُ أَخافُ مِنْ يَوْمٍ
يُميتُ فَراغُـهُ حِسّي
وَأَصْحو فَوْقَ أَنْقـاضٍ
مِنَ ٱلْأَوْهامِ وَٱلْحَـدْسِ
تُذِلُّ ٱلزَّهْوَ في حَـدَقي
وَتُلْقي ٱلسُّمَّ في كَأْسي !

* * *

تَرَكْتُ ٱلْأَرْضَ لِلنّـاسِ
وَرُحْتُ أَعيشُ في جُرْحي
فَلَمْ أَرْتَحْ إِلىٰ لَيْـلٍ
وَلَمْ أَرْكَنْ إِلىٰ صُبْحِ

يُرِيدُ ٱلدَّهْرُ أَنْ أَنْسىٰ
فَهَلاَّ كَفَّ عَنْ نُصْحي ؟
وَهَلْ أَبْقىٰ لِيَ ٱلْيَوْمَ
سِوىٰ ٱلْوَحْشَةِ وَٱلْبرْحِ ؟!

* * *

أَخافُ أَخافُ أَنْ أَنْسىٰ
وَيَذْهَبَ رَوْنَقُ ٱلْماضي
وَأَنْ يَسْتَيْقِظَ ٱلْقَلْبُ
عَلَى سَأَمٍ وَإِرْماضِ
إِذا ما هَزَّهُ ٱلشَّوْقُ
وَأَقْبلَ بَعْدَ إِعْراضِ
تَلَفَّتَ يَذْكُرُ ٱلْأَمْسَ
فَلَمْ يَرَ غَيْرَ أَنْقاضِ !

أَخافُ أَخافُ أَنْ يَطْوي
ظَلامُ ٱلْيَأْسِ لَيْلاتي
وَيَتْرُكَني عَلَى ٱلْأَرْضِ
بِلا ماضٍ وَلا آتِ
سَليبَ ٱلْعَزْمِ ... أَسْتَجْدي
مِنَ ٱلْحِرْمانِ أَبْياتي
إِذا ما أَوْمَأَ ٱلْفَجْرُ
نَثَرْتُ عَلَيْهِ فِلْذاتي !

* * *

أَخافُ أَخافُ مِنْ عَيْشٍ
تَؤودُ ٱلنَّفْسَ أَعْباؤُهْ
وَتَعْصِفُ بِٱلَّذي أَبْني
مِنَ ٱلْأَحْلامِ أَنْواؤُهْ

إذا ما قُلْتُ : لَنْ أَنْسىٰ
وَلَنْ يُفْلِحَ إغراؤُهْ
رَمَتْ أَشْواكُهُ كَبِدي
وَعاثَتْ فيهِ أَقْذاؤُهْ

• • •

فَدَيْتُكَ أَيُّها ٱلْقَلْبُ !
أَأَنْتَ تُراعُ مِنْ دَهْرِكْ ؟
أَأَنْتَ تَخافُ أَنْ تَنْسىٰ
أَأَنْتَ تَشُكُّ في صَبْرِكْ
لَقَدْ جَدَّ بِكَ ٱلنَّأْيُ
فَماذا كانَ مِنْ أَمْرِكْ ؟
وَقَدْ رَوَّعَكَ ٱلدَّهْرُ
فَكادَ يُجَنُّ مِنْ كِبْرِكْ !

فَدَيتُكَ أَيُّها ٱلْقَلْبُ !

فَقَدْ أَذْكَيْتَ بي ٱلْبَأْسا

قَهَرْتَ ٱلْغَمَّ . . . وَٱلْأَيّا

مَ . . . وَٱلنِّسْيانَ . . . وَٱلْيَأْسا

وَرُحْتَ تُجَدِّدُ ٱلْعَهْدَ

وَتَحْضُنُ ذٰلِكَ ٱلْأَمْسا

وَكِدْتَ تُسَمِّرُ ٱلدَّهْرَ

فَكَيْفَ تَخافُ أَنْ تَنْسىٰ ؟ !

١٩٤٩

أنّات

لا تُراعي ! تِلْكَ دُنْيايَ ٱلَّتي ماتَ سَناها
وَأُمِّحَتْ أَلْوانُها ٱلْغُرُّ وَرَثَّتْ صَفْحَتاها !
تِلْكَ دُنْيايَ ٱلَّتي أَبْدَعْتُ بِٱلْأَمْسِ رُؤاها
وَسَأَلْتُ ٱلنُّورَ لا يَبْرَحُ ما عاشَ فَضاها
تِلْكَ دُنْيايَ ٱلَّتي عِشْتُ عَلَى وَهْمِ رُقاها
خَنَقَتْها يَقْظَةُ ٱلْجُرْحِ وَسالَتْ في دِماها
فَإِذا بِٱلْحُلُمِ ٱلْمُبْدَعِ قَدْ جَفَّ وَشاها
وَإِذا ٱلْيَأْسُ ٱلَّذي حاذَرْتُ قَدْ كانَ طَواها !
عَبَثًا أَسْأَلُ أَنْ تَحْيا ! فَقَدْ حُمَّ رَداها
لَطَمَتْها قَبْضَةُ ٱلدَّهْرِ وَقالَتْ : لَنْ تَراها !

تَعِبَتْ روحي ! فَمَنْ يَمْلأُ بالرِّفْعَةِ حِسّي ؟
مَنْ تُرى يُصْغي إذا رَتَّلْتُ أَنّاتي وَهَمْسي
حينَ تَنْدى الْعَيْنُ بِالدَّمْعِ فَما تَكْتُمُ يَأْسي
حينَ يَأْوي الطَّيْرُ لِلْوَكْرِ وَيُطْوى كُلُّ نَبْسِ
أَرْمُقُ الْأُفْقَ وَفي عَيْنَيَّ أَسْتَرْجِعُ أَمْسي
وَيَلوبُ الْقَلْبُ أَسْوانَ وَيَنْأى بي هَجْسي !
عَجَبًا تُنْكِرُني الْأَرْضُ ! فَمَنْ يَأْلَفُ نَفْسي ؟
أَنا ظَمْآنُ ... فَهَلْ في النّاسِ مَنْ يَمْلأُ كَأْسي ؟
لَيْتَني أَسْطيعُ أَنْ أَمْحُوَ بِالْأَدْمُعِ بُؤْسي
إِنْ أَكُ الْفَجْرَ الَّذي مَرَّ ... فَلِمْ تُشْرِقُ شَمْسي !

تَعِبَتْ روحي ! فَما أُبْصِرُ في الْأَرْضِ طَريقا
سَرَبَ الْوَهْمُ عَلَى الْأُفْقِ فَلَمْ أُلْفِ صَديقا
الصِّبا ضاعَ مَعَ الْقَلْبِ ... وَقَدْ كانَ رَفيقا
وَالرُّؤىٰ جَفَّتْ ... فَما أَلْمَحُ فيهِنَّ بَريقا !
أَيُّها الْآلُ عَلَى الرَّمْلِ ! لَقَدْ زِدْتَ خُفوقا
أَنْتَ أَغْرَيْتَ بِيَ الشَّوْقَ وَفَجَّرْتَ الْعُروقا
كُلَّما خِلْتُكَ ماءً ... رَدَّني الرَّمْلُ مَشوقا !
عَجَبًا أَيَّتُها الْأَرْضُ ! لَقَدْ زِدْتِ عُقوقا
كُلَّما قُلْتُ : طَفا الْيَأْسُ ... جَرىٰ الْيَأْسُ عَميقا
قَدَرٌ أَرْكَنُ إِنْ نامَ وَأَخْشىٰ أَنْ يُفيقا !

تَعِبَتْ روحي ! فَمَنْ يَحْمِلُ لِلرّوحِ عَزائي ؟
أَنا نايٌ في فَمِ ٱلْأَيّامِ قَدْ جَفَّ غِنائي
أَنا شَيْخٌ لَمْ يَدَعْ مِنْهُ ٱلْأَسى غَيْرَ ذَماءِ
أَثْقَلَتْهُ غُمَّةُ ٱلْبَيْنِ وَأَنْفاسُ ٱلْعَياءِ
يَقْحَمُ ٱلدَّهْرَ . . . فَيُلْقِيهِ مُدَى ٱلْكِبْرِياءِ !
عَجَبًا ! وَٱلْيَأْسُ لا يَرْحَمُ دائي . . . ما بَقائي ؟
أَنا لَوْلا بارِقُ ٱلْأَمْسِ تَناسَيْتُ رَجائي
وَخَنَقْتُ ٱلشَّكْوَ في فِيَّ وَأَهْرَقْتُ إِنائي !
وَيْكِ يا نَفْسُ ! أَما طالَ عَلَى ٱلْأَرْضِ ثَوائي
لِمَ أَحْيا ؟ وَٱلْعَذابُ ٱلْمُرُّ ما زالَ غِذائي ؟ !

لا تُراعي ! فَزَمانُ ٱلْأُنْسِ قَدْ مرَّ وَحِيّا
وَٱنْقَضىٰ أَمْسِ . . . فَلَمْ يَتْرُكْ سِوىٰ ٱلْغُلَّةِ رِيّا
عَبَثًا يَسْأَلُنِي ٱلدَّهْرُ ! فَما كُنْتُ نَسِيّا !
أَنا أَهْواكِ . . . وَإِنْ عِشْتُ مَعَ ٱلْيَأْسِ مَلِيّا
أَنا أَهْواكِ . . . وَإِنْ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ في يَدَيّا !
لا تُراعي ! أَنا ما زِلْتُ كَما كُنْتُ وَفِيّا
فَإِذا ما أَقْبَلَ ٱلْمَوْتُ . . . فَلَنْ أُوقِرَ عِيّا
سَوْفَ أَسْتَرْجِعُ في ٱلْبالِ هَوانا ٱلْقُدُسِيّا
وَأَرىٰ ٱلْجُفْنَ — وَقَدْ أَقْبَلَ — أَسْوانَ شَجِيّا
يُطْبِقُ ٱلْهُدْبَ عَلَيْهِ . . ثُمَّ . . لا أُبْصِرُ شَيّا !

١٩٤٨

ماذا ابقي...

يا ظَلامَ الْأَقْدارِ ! رُدَّ صِبايا
قَبْلَ أَنْ تُزْهِقَ الْحَياةَ يَدايا
لا تَقُلْ لي أَفِقْ ! فَتِلْكَ عُروقي
يَنْزِفُ الْعُمْرُ فَوْقَهُنَّ شَظايا
أَغَداً يَضْفِرونَ أَشْواكَ أَيّامي . . .
وَيَلْقونَ بِالْوُرودِ سِوايا !
وَيُذيقونَ سالِبي قَدَحَ الْخُلْدِ
وَيُرْوونَ بِالزُّعافِ صَدايا

أَغَداً يَعْقِدونَ لي عُقَدَ ٱلْيَأْسِ

وَيَأْبونَ أَنْ أطولَ رُؤايا

وَيَعُبُّونَ مِنْ دَمي فَوْرَةَ ٱلْعُمْرِ

وَيَطْوونَ في ٱلتُّرابِ هَوايا

وَيَقولونَ : فَلْتَمُتْ ! وَأَراني

فَوْقَ دَرْبٍ مُعَفَّرٍ أَتَعايا !

وَهْوَ فَوْقَ ٱلْغُيومِ : يَلْثُمُهُ ٱلْفَجْرُ

وَتَخْضَلُّ في يَدَيْهِ ٱلْعَشايا

وَأَراهُ ... في ٱلنّورِ شَقَّ خُطاهُ

وَأَنا في ٱللَّظَىٰ تَدِبُّ خُطايا !

جاءَ هٰذا ٱلضَّريُّ ! لَمْ أَدْرِ إِذْ جاءَ

وَلٰكِنْ رَأَيْتُ فيهِ رَدايا

جاءَ كاللَّيْلِ ! كالْبَلِيَّةِ .. كالآلامِ
.. كالْخَوْفِ .. كالْتِفافِ الرَّزايا

جاءَ وَالْخَنْجَرُ الرَّهيفُ بِكَفَّيْهِ
... فَجَذَّ الْمُنى وَقَصَّ جَنايا

وَرَماني أَهيمُ في شُعَبِ الْأَرْضِ
وَأَطْوي عَلَى الْجِراحِ حَشـــــايا

بَزَّني ما جَمَعْتُ مِنْ بَهَجِ الْعُمْرِ
وَما وَشَّـــت الْحَيـــــاةَ يَدايا

صَوَّحَتْ كَفُّهُ زَنابِقَ رَوْضاتي
وَأَخْلَتْ مِنَ الطُّيورِ رُبـــايا

كَيْفَ مَرَّتْ يَداهُ يا ضَيْعَةَ الْعُمْرِ !
فَشاعَ الْهُمودُ في دُنْيـــــايا

لَيْتَني أَسْتَطيعُ أَنْ أُبْصِرَ ٱلْغَيْبَ
فَأُغْريهِ أَنْ يَذوقَ أَسايا
وَأَرى هَلْ يُطيقُ أَنْ يَبْلُوَ ٱلْيَأْسَ . .
أَمِ ٱلْغَيْبُ لا يُطيقُ ضَنايا !

* * *

هُوَ يَوْمي لا يَوْمُهُ ! فَهْوَ أَحْلامي
وَدُنْيايَ وائْتِلاقُ مُنايا
وَصِبايَ ٱلَّذي تَنَظَّرْتُهُ ٱلْعُمْرَ
. . . فَوالهَفْتاهُ ضاعَ صِبايا !
هُوَ فَجْري طَفِقْتُ أَرْقُبُ فيهِ
لَمَحاتِ ٱلضِّيا فَكانَ دُجايا
وَرَبيعي حَضَنْتُ مِنْ أَجْلِهِ ٱلرّيحَ
وَأَرْخَصْتُ في هَواهُ قُوايا

هُوَ دَمْعي سَكَبْتُهُ أَرْقُبُ ٱلصُّبْحَ
فَلَمَّا دَنَا أَذَلَّ بُكَايا
وَهْوَ روحي أَذَبْتُها لِلرؤىٰ ٱلْبِيضِ . .
فَواحَسْرَتَاهُ ماتَتْ رُؤايا !
هُوَ حُلْمي أَوْدَعْتُهُ صُوَرَ ٱلْعُمْرِ
وَغَذَّيْتُهُ لُبَابَ هَوايا
وَهْوَ زَهْري سَقَيْتُهُ ذَوْبَ عَيْنَيَّ
. . فَلَمَّا نَمَا جَنَاهُ سِوايا !

* * *

أَيُّها ٱلنَّاعِمونَ في ٱلْحَفْلِ ، في ٱلضَّجَةِ
وَيْكُمْ ! لَقَدْ أَبَحَّ نِدايا
أَوَلا تَسْمَعونَ غَمْغَمَةَ ٱلنَّوْحِ
. . أَلا تُبْصِرونَ نَزْفَ حَشايا

أَوَلا تَنْظُرونَ لِلشَّفَقِ ٱلْباكي
فَـإِنّي خَضَّبْتُهُ بِدِمايـا !

أُرْقُصوا أُرْقُصوا عَلَى جَدَثِ ٱلْحُلْمِ
وَصُبُّوا ٱلشَّرابَ فَوْقَ ثَرايا

وَٱنْثُروا فَوْقَ أَدْمُعي غَبْرَةَ ٱللَّهْوِ
وَضِجُّوا عَلَى رُفاتِ مُنايا

أَيُّها ٱلنّاعِمونَ ! لا تَقْذِفوا ٱلْكَأْسَ ...
وَلٰكِنْ خَلّوا عَلَيْهِ بَقايا

أَتْرُكوها عَلَى ٱلْحِفافِ أَذُقْها
وَدَعوها تَنْعَمْ بِها شَفَتايا

إِنَّها لي ! فَكَيْفَ أُحْرَمُ مِنْها
حينَما أَوْشَكَتْ تَبُلُّ ظَمايا ؟ !

راحَةُ الدَّهْرِ تَتْرُكُ النَّبْعَ صَدْيانَ
وَتَرْمي بِالنَّيِّراتِ شَظايا

تَلْمُسُ الأَيْكَةَ الطَّروبَ فَتَهْتَزُّ
وَتُلْقي بِها مُنىً وَمَنايا

فَإِذا بَعْضُها غَلائِلُ نَوْرٍ
وَإِذا بَعْضُها تُرابُ رَزايا !

مِلْءَ يُمْناكَ يَنْبُعُ الْيُمْنُ يا دَهْرُ
.. فَضَعْها الْغَداةَ في يُمْنايا

وَاحْمِلِ الشَّوْكَ لِلَّذي يَسْرِقُ الْحُلْمَ
وَيَحْيا عَلَى أَنينِ الضَّحايا !

عَجَباً يا قَضاءُ ! يَتَّحِدُ الْكَأْسُ
... وَتَبْقى السُّمومُ في سُقْيايا

غَدُنا واحِدٌ ! وَلٰكِنَّهُ ٱلْخُلْدُ

لَدَيْهِ . . . وَالْمَوْتُ لي وَٱلْبَلايا !

جاءَ يُزْهىٰ . . . وَجِئْتُ أَحْمِلُ جُرْحي

يا لَزَهْوِ ٱلْمُنىٰ وَيا لَدِمايا !

تَنْطِقُ ٱلْأُمْنِياتُ في فَمِهِ ٱلْبَشَّ

وَتَعِيا بِنُطْقِها شَفَتايا

وَهْوَ بِٱلْمِسْكِ ضُمَّخَتْ راحَتاهُ

وَبِدَمْعي أَنا ٱرْتَوَتْ راحَتايا

عَبَثًا يَسْأَلونَ : ما خَطْبُهُ ٱلْيَوْمَ ؟

. . . فَقَدْ آنَ أَنْ تَجِفَّ رُؤايا

في غَدٍ يَدْخُلُ ٱلرَّبيعُ صِباهُ

وَأَنا في غَدٍ يَموتُ صبايا !!

١٩٤٧

سأم

بِعَيْنَيْكَ ما أَرْعَشَ ٱلذِّكْرياتِ
فَظَلَّتْ مَواكِبُها تَخْطُرُ
تَشُقُّ ٱلْغُيوبَ خَيالاتُها
وَيَسْعىٰ بِها ٱللَّهَفُ ٱلْمُسْعَرُ
تَمُرُّ عَلَى ٱلْأَعْيُنِ ٱلشَّارِداتِ
فَتَهْتاجُها وَهْيَ لا تَشْعُرُ
وَتَرْفُقُها مِنْ وَراءِ ٱلْحَياةِ
ظِلالٌ مِنَ ٱلْأَمْسِ لا تُبْصَرُ
فَفي رَفَّةِ ٱلْجَفْنِ مِنْها رُؤىً
وَفي ٱلْأُذُنَيْنِ صَدىً يَعْبُرُ

يُغَمْغِمُ فِيها ٱلرَّجاءُ ٱلْحَبيسُ
وَيَنْفَلِتُ ٱلرَّهَقُ ٱلْمُوقِرُ

وَتَهْجِسُ في غَوْرِها ٱلتَّمْتَماتُ
فَأَسْأَلُ : مَنْ ذا ؟ وَلِمْ يَنْفُرُ ؟

وَتَسْرِبُ في ٱلنَّفْسِ أَنَّاتُها
فَيَلْقَفُها ٱلْخافِقُ ٱلْمُنْكَرُ

يُحَدِّقُ حَتّىٰ يَمَلَّ ٱلْفَضاءُ
وَيَجْحَدُهُ ٱلْأُفْقُ ٱلْأَغْبَرُ

وَتَسْرَحُ عَيْناهُ عَبْرَ ٱلْمَدىٰ
وَيَنْقُلُهُ ٱلْقَلَقُ ٱلْمُفْكِرُ

لِيَغْفُلَ عَنْ حَشْرَجاتِ ٱلْقُنوطِ
وَيَنْسىٰ ٱلْجَحيمَ ٱلَّذي يَزْفُرُ

وَيُذْعِرُهُ أَنَّهُ لَنْ يَقَرَّ
وَيُذْعِرُهُ أَنَّهُ يُذْعَرُ !

وَتَغْمُرُهُ الصُّوَرُ الْماضِياتُ
فَيَتْبَعُها وَهْوَ يَسْتَعْبِرُ

وَيَغْرَقُ في غَبَشِ الذِّكْرَياتِ
وَيَنْشُرُ مِنْهُنَّ ما يَنْشُرُ

رُؤىً عاشَها قَبْلَ خَلْقِ الْحَياةِ
فَكَيْفَ بِأَيّامِها يَكْفُرُ ؟

خَيالٌ ! وَلٰكِنَّهُ في هَواهُ
هُوَ الْعالَمُ الْأَكْمَلُ الْأَكْبَرُ !

لَقَدْ سُدَّ يا قَلْبُ هٰذا الْفَضاءُ
فَأَيَّ فَضاءٍ تُرىٰ تَنْظُرُ ؟

لَقَدْ حَطَمَ ٱلدَّهْرُ ذاكَ ٱلسِّراجَ
وَكُنْتَ عَلَى ضَوْئِهِ تُبْصِرُ

وَجَفَّ ٱلشَّبابُ... شَبابُ ٱلْمُنَى
وَعاثَ بِهِ ٱلْهَرَمُ ٱلْمُبْكِرُ

وَكانَ لَنا ٱلْفُلُّ وَٱلْياسَمينُ
وَكانَ لَنا ٱلْوَرْدُ وَٱلْعَبْهَرُ

فَلَمْ يَبْقَ يا قَلْبُ إِلاّ ٱلْحُطامُ
وَلَمْ يَبْقَ إِلاّ لَقىً أَبْتَرُ

وكانَ لَنا حُلُمٌ في ٱلْحَياةِ
فَبَدَّدَهُ ٱلْقَدَرُ ٱلْأَكْدَرُ

وَكانَ لَنا أَمَلٌ نَدَّعيهِ
وَكانَ لَنا عيدُنا ٱلْأَكْبَرُ

وَكانَ لَنا غَدُنا السَّرْمَدِيُّ
نَعُدُّ خُطاهُ وَنَسْتَبْشِرُ

وَنَرْمُقُهُ بِارْتِقابِ اللَّهِيفِ
وَيَرْصُدُهُ الْقَلْبُ وَالْمَحْجِرُ!

تَمَثَّلْتُهُ أَخْضَرَ الضَّفَّتَيْنِ
يَمُوجُ بِهِ النُّورُ وَالْكَوْثَرُ

وَقَدْ نَضَّرَتْهُ رُؤًى مِنْ هَوايَ
وَزَيَّنَهُ أَمَلٌ مُزْهِرُ!

تَبَيَّنْتُهُ فِي الْفَضاءِ الْقَصِيِّ
وَقَدْ غَمُضَ النَّبَأُ الْمُخْبِرُ

فَأَتْبَعْتُهُ الْقَلْبَ خِفَّ الْخُطى
يُحَدِّقُ فِيهِ وَيَسْتَبْصِرُ

فَماذا رَأى ؟ عادَ يَبْكي هَواهُ
وَغَمْغَمَ : مَهْ . . . إِنَّهُ مُقْفِرُ !

* * *

فَدَيْتُكِ ! ماذا وَراءَ ٱلْقَضاءِ
أَنَخْلُدُ في ٱلْيَأْسِ أَمْ نَظْفَرُ ؟
وَما ٱلْغَدُ ؟ ما نَحْنُ ؟ ما ٱلْأُمْنِياتُ
وَأَيُّ مَصيرٍ لَنا يُذْخَرُ ؟
أَأَحْيا ؟ وَمَنْ قالَ : إِنَّ ٱلْحَياةَ
مِنَ ٱلْمَوْتِ أَوْ صِنْوِهِ تُثْمِرُ ؟!
رَمادٌ أَنا بَدَّدَتْهُ ٱلرِّياحُ
فَهَلْ أَسْتَقِرُّ وَهَلْ أُنْشَرُ ؟
وَكَيْفَ ! أَيَرْجِعُ ذاكَ ٱلشَّبابُ
وَقَدْ ضَمَّهُ جَدَثٌ أَغْبَرُ !

أَآمُلُ أنْ تَسْتَجِدَّ الْحَياةُ
وَيَخْضَوْضِرَ الْأَمَلُ الْمُدْبِرُ

وَقَدْ كُنْتِ أَنْتِ الرَّبيعَ السَّرِيَّ
فَهَيْهَاتَ يُورِقُ أَوْ يَنْضَرُ !

أَآمُلُ أَلاَّ يَهيجَ الْعُبَابُ
وَيَنْقَلِبَ الزَّوْرَقُ الْمُوقَرُ

وَقَدْ كُنْتِ أَنْتِ حُداءَ النُّجومِ
فَكَيْفَ إِذا غِبْتِ لا يَعْثُرُ ؟!

أَآمُلُ أَنْ تُونِعَ السُّنْبُلاتُ
وَيَشْتَجِرَ الْوَرَقُ الْأَخْضَرُ

وَكَيْفَ ! وَقَدْ جَفَّ فِيها الْبَلالُ
وَرَوَّعَها عاصِفٌ صَرْصَرُ ؟!

أَ آمُلُ أَلاَّ أَرىٰ ٱلذِّكْرَياتِ
إِذا غَصَّ قَلْبي بِما يُضْمِرُ
وَما ٱلْكَوْنُ إِنْ أَنا أُنْسيتُها ؟
وَما أَنا ... إِنْ كُنْتُ لا أَذْكُرُ ؟
أَ آمُلُ أَلاَّ يَنُوءَ ٱلشَّبابُ
وَيُدْرِكَهُ ٱلْقَدَرُ ٱلْأَزْوَرُ
وَكَيْفَ ! وَقَدْ أَرْهَقَتْهُ ٱلْهُمُومُ
وَكُنْتِ ٱلنَّعيمَ ٱلَّذي يُؤْثِرُ
وَقَدْ كُنْتِ أَنْتِ حَياةَ ٱلْحَياةِ
فَكَيْفَ أَقَرُّ وَلا أَنْفُرُ ؟
وَكانَ صِباىَ عَلَى ناظِرَيْكِ
وَقَدْ ضَلَّ عَنْكِ ! فَهَلْ أَصْبِرُ ؟

١٩٤٧

في الليل

جُنَّ الظَّلامُ وَأقفرَ الدَّرْبُ
فَإلامَ نُدْلِجُ أيُّها الْقَلْبُ ؟
اللَّيْلُ يُرْعِبُ وَالرُّؤى رُعِشَتْ
وَأراكَ : لا رَعَشٌ وَلا رُعْبُ !
عَيْنايَ عُلِّقَتَا عَلَى أُفُقٍ
لَمْ يَنْدَ فَوْقَ سَرابِهِ هُدْبُ
وَرُؤاكَ غامِضَةٌ مُغَلَّقَةٌ
طَوْراً تُضِيءُ وَتارَةً تَخْبُو !

جُنَّ ٱلظَّلامُ ! فَما أَبهتَ بِهِ
وَعوىٰ ٱلصَّدىٰ وَتفزَّعَ ٱلْهَضْبُ

ماذا يُريدُ ٱللَّيْلُ؟ إنَّ فَمي
فَوْقَ ٱلْكؤوسِ مُمَرَّغٌ جَدْبُ

يا لَيْلُ ! لَسْتُ بِشاربٍ قَدَحي
إنّي أخافُ يُميتُني ٱلشُّرْبُ !

أنا أنَّةٌ خَرْساءُ باكِيَةٌ
نَفِضتْ عَلَى شَهَقاتِها ٱلْحُجْبُ

جُنْحٌ مِنَ ٱللَّيْلِ ٱلْبَهيمِ هَوىٰ
لا تائِهٌ يَبْكي وَلا صَبُّ !

جُنَّ ٱلظَّلامُ وَلَسْتُ أَرْهَبُهُ
أنا مِنْهُ وَهْوَ كِيانيَ ٱلرَّحْبُ

تَهْدارُهُ يَأسي . . . وَظُلْمَتُهُ

قَلْبي . . وَرَجْعُ رِياحِهِ نَدْبُ

هَدَرَتْ وَساوِسُهُ ! فَقُلْتُ لَها :

لا أَنْتِ مُفْزِعَةٌ وَلا ٱلنُّكْبُ

ٱلرّيحُ تَعْرِفُ كَيْفَ أَحْضُنُها

وَٱللَّيْلُ يَعْلَمُ أَنَّني حَدْبُ !

* * *

جُنَّ ٱلظَّلامُ فَأَيْنَ مُنْطَلَقي ؟

النَّجْمُ يَعْثُرُ وَٱلسَّنا يَكْبُو

عَبَثًا أَهيمُ فَلَيْسَ في أُفُقي

إلاّ ٱلْأَسى وَٱلْوَهْمُ وَٱلْكَرْبُ

لا شَيْءَ يُومِىءُ لي فَأَتْبَعَهُ

وَيَشيعُ فِيَّ خُمارُهُ ٱلْعَذْبُ

ٱلْأُمْنِياتُ ذَوَتْ ! فَوالهَفي
ماذا يُؤَمِّلُ بَعْدَهـا ٱللُّبُّ !

قلَقُ ٱلْفَراغِ يُثـيرُ بي قَلَقي
فَأَكادُ أَصْرُخُ : مُتُّ يا رَبُّ !

ٱلشَّوْكُ في دَرْبي وَقَدْ عَصَفَتْ
بِٱلْأُمْنِياتِ زَعازِعٌ نُكُبُ

وَٱلْفَيْءُ يَقْبِضُ . . . لا يُظَلِّلُني
أَتَراهُ هَمَّ فَرَدَّهُ ٱلرُّعْـبُ ؟

إِنّي وَأَدْتُ رَغائِـبي وَدَدي
وَرَجَعْتُ : لا أَمَلٌ وَلا رَغَبُ

تَتَزاحَمُ ٱلزَّفَراتُ مِلْءَ فَمي
وَيَموتُ خَلْفَ شِفاهِيَ ٱلْعَتَبُ

وَتَمُرُّ بي ٱلذِّكْرىٰ فَأَتْبَعُها
وَيَقَرُّ فَوْقَ رَفِيفِها ٱلْهُدْبُ
يَتَوَثَّبُ ٱلْقَلَقُ ٱلْحَبِيسُ لَهَا
وَيَموتُ فَوْقَ سَرابِها ٱلْوَثْبُ
وَأَسيرُ أَرْقُبُها وَفي كَبِدي
نارٌ وَمِلْءُ أَضالُعي حَرْبُ
وَأُنَهْنِهُ ٱلْعَيْنَ ٱلَّتي طُرِفَتْ
حَذَرَ ٱلْبُكاءِ.. فَيَذْرِفُ ٱلْقَلْبُ !

* * *

يا لَيْلُ كُنْتَ وَكانَ لي أَمَلٌ
أَسْعىٰ إِلَيْهِ .. فَخانَني ٱلدَّرْبُ
فَإِذا ٱلطَّرِيقُ يَضيقُ بي وَإِذا
بِٱلدَّمْعِ فَوْقَ تُرابِهِ سَكْبُ

وَإذا بِأطْيافِ ٱلرُّؤىٰ مِزَقٌ
وَٱلْحُلْمُ حينَ لَقيتُهُ نَهْبُ !

ٱلرَّوْضُ جَفَّ ! فَلَيْسَ يَجْذِبُني
أَيْنَ ٱلشَّذىٰ يا لَيْلُ وَٱلْعُشْبُ ؟

إِنّي لَأَذْهَلُ .. ثُمَّ يُوقِظُني
أَنّي ضَلَلْتُ وَفاتَني ٱلرَّكْبُ

بِٱلْأَمْسِ أَغْدَقَ مَنْبَعي وَجَرىٰ
وَٱلْيَوْمَ غاضَ وَأَجْدَبَ ٱلتُّرْبُ

قَدْ جِئْتُ لِلدُّنْيا وَبي مَرَحٌ
وَرَجَعْتُ يَهْصِرُ روحيَ ٱلْخَطْبُ

وَنَذَرْتُ لِلْفَجْرِ ٱلْبَليلِ فَمي
فَنَأَى ٱلسَّرابُ وَجَفَّتِ ٱلسُّحْبُ

وَفَتَحْتُ لِلأَنْوارِ أُفْقَ غَدي

فَإِذا ٱلدُّجُنَّةُ فِيــهِ تَنْصَبُّ

أَقْبَلْتُ أَلْمُسُهُ فَرَدَّ يَــدي

وَعَلَى أَنامِلِهــا دَمٌ سَرْبُ

حُلُمٌ قُتِلْتُ بِهِ ! فَيا كَبِدي

إِنْغَرْ جِراحَكَ . . إِنَّهُ ٱلْقَلْبُ

لَمْ يَبْقَ فِيهِ مِنَ ٱلْحَياةِ سِوىٰ

رَمَقٍ يَجِفُّ وَوَمْضَةٍ تَخْبو !

١٩٤٧

رُقْيَة

إذا ما أحْلَوْلكَ اللَّيْلُ ... وَغُمَّ فَضاؤُهُ الأَكْلَحْ
وَراحَ الكَوْكَبُ المَذْعو ... رُ في أَنْحائِهِ يَسْبَحْ
وَوَدَّ القَلْبُ لَوْ يَزْهَـ ... ـقُ هٰذا اللَّيْلُ أَوْ يَبْرَحْ
تَذَكَّرْتُ رُؤى الفَجْرِ الَّـ ... ـذي كُنّا بِهِ نَمْرَحْ
فَإِذْ باللَّيْلِ قَدْ ضاءَ ... وَهَمَّ القَلْبُ أَنْ يَصْفَحْ!

* * *

وَإِنْ أَزْرى بِيَ البَيْنُ ... وَأَهْرَقَ خَطْبُهُ كَأْسي
وَضاقَ الصَّدْرُ بِالقَلَقِ الَّـ ... ـذي يَكْمُنُ في حِسّي
تَذَكَّرْتُ .. وَما أَكْثَـ ... ـرَ ما أَذْكُرُ مِنْ أَمْسي

رؤىٰ ٱلْحُلْمِ ٱلَّذي أَدْبَـ ـرَ بِٱلْبَهْجَـةِ وَٱلْأُنْسِ
فَإِذْ بِٱلدَّهْرِ قَـدْ قَرَّ وَشاعَ ٱلْأَمْنُ في نَفْسي !

* * *

وَإِمّا هَـدَّني ٱلدَّهْرُ وَأَرْهَقَ كاهِلي دَيْنا
وَأَقْفَرَتِ ٱلدُّروبُ فَما أَرىٰ صَعْبـاً وَلا هَيْنا
وَضاقَ ٱلْعَقْلُ بِٱلْقَلْبِ وَصاحَ بِهِ : إِلىٰ أَيْنا ؟
تَذَكَّرْتُ غِنىٰ ٱلْحُبِّ ٱلَّـ ـذي يَعْمُرُ قَابِيْنـا
فَإِذْ بِٱلْأَرْضِ وَٱلْأَحْيـ ـاءِ لا شَيْءَ بِعَيْنَيْنـا !!

١٩٤٨

موعد من السماء

أَيُّهٰذا ٱلْقَلَقُ ٱلْمَشْبوبُ في ٱلْقَلْبِ : تَرَفَّقْ !
غَمَرَتْني مَوْجَةٌ تَطْفَحُ بِٱلْوَجْـــدِ وَتَشْهَقْ
تَتَراءى بِٱلْهَوىٰ ٱلْمَظْنونِ وَٱلْوَهْمِ ٱلْمُلَفَّقْ
كُلَّما طالَعْتُهـــا ضَجَّ بيَ ٱلشَّوْقُ وَأَحْدَقْ !

* * *

لَسْتُ بِٱلْمُبْصِرِ شَيْئًا ! غَيْرَ أَنّي في ٱضْطِرابِ
يَتَرامىٰ قَلْبِيَ ٱلظَّمْآنُ في كُلِّ سَرابِ
وَأَنـا في غَمْرَةِ ٱلْأَشْواقِ لا أُدْرِكُ ما بي
أَتَظَنّىٰ . . . فَيَلَذُّ ٱلْقَلْبَ ظَنّي وَٱرْتِيـــابي !

وَإِذا وَجْهُكِ في الْأُفْـــقِ حَيٌّ يَتَطَلَّعْ
وَعَلَى أَهْـدابِكِ الْوُطْفِ خَيـــالٌ يَتَمَنَّعْ
وَالْمُنى في طَرْفِكِ الْحَـــائِرِ ظَمْأَى تَتَدَفَّعْ
تَرْمُقُ الْحُلْمَ الَّذي عاثَ بِـــهِ الدَّهْرُ فَتَدْمَعْ

* * *

أَيُّها الطَّيْفُ الَّذي يَعْبُرُ دُنْيـــايَ وَيَجْري !
ها هُنا الْقَلْبُ الَّذي أَصْفَيْتَهُ أَثْمَنَ ذُخْرِ
لَمْ يَجِدْ بَعْدَكَ ما يَحْلو مِنَ الْعَيْشِ وَيُغْري
وَدَّ لَوْ يَعْلَمُ لِمْ يَبْقى ... وَلٰكِنْ كَيْفَ يَدْري ؟

* * *

وَتَرَفَّقْتُ بِقَلْـــبي ... وَتَتَبَّعْتُ خُطـــاكِ
أَحْبِسُ الْأَدْمُعَ في الْجَفْنِ وَأَمْشي في ارْتِباكِ

كُلَّما حَدَّقْتُ في ٱلْأُفْقِ تَراءَيْتِ هُنـــاكِ
وَكَأَنّي لا أَرى في زَحْمَةِ ٱلْكَوْنِ سِواكِ !

* * *

لَيْلَ ! هٰذا مَوْعِدٌ .. لٰكِنَّهُ مِنْ صُنْعِ رَبّي
قَدَّرَتْهُ يَدَهُ ٱلْبَيْضـــاءُ في لَيْلَةِ حُبٍّ !
قالَ لي ٱلرُّوحُ وَقَدْ أَشْفَقَ أَنْ يَطْفَحَ كَرْبي
أَتَراها ..؟

قُلْتُ : في عَيْني وَأَحْلامي وَقَلْبي !

١٩٤٨

من الأعماق

أَيُّهـــا ٱلنَّجْمُ ! دُمْتَ في إِشْراقِ
جُنَّ صَبْري فَهَلْ تَحُلُّ وَثاقي ؟
أَمَلي في ٱلسَّمـــاءِ وَٱلْجِسْمُ باقٍ
فَوْقَ أَرْضِ ٱلْهُمُومِ وَٱلْإِرْهـاقِ
كَذَبَ ٱلْقَلْبُ ! أَيْنَ ثَوْرَةُ يَأْسٍ
فِيـــهِ تودي بِٱلْجُبْنِ وَٱلْإِشْفاقِ
أَتُراني تَرَكْتُ خَلْفَ خُطى ٱلْأَيّامِ
دُنْيـــا شَبـابِيَ ٱلدَّفّاقِ

أَمْ رَأَى ٱلدَّهْرُ أَنْ أَموتَ وَفي ٱلْقَلْبِ

بَقَـــايا تَنَدُّمٍ وَٱحْـتِراقِ !

يا لَنَفْسي ! أَكادُ أُنْكِرُها ٱلْيَوْمَ

وَلٰكِنْ ماذا يُفيدُ إِبـــاقي ؟

غَيَّرَتْها ٱلسُّنونُ فَهْيَ حُطـــامٌ

مِنْ بَقايا ٱلشُّجونِ وَٱلْأَشْواقِ

أَنْغَضَتْ رَأْسَهـــا وَقَدْ قَهْقَهَ ٱلدَّهْرُ

وَأَصْغَتْ إِلَيْـــهِ في إِطْراقِ

وَيْحَها وَيْحَها ! أَلا تَنْبُذُ ٱلْجُبْنَ

وَتَقْضي عَلَى ٱلسِّنـــينَ ٱلْبَواقي

وَيْحَها لا تَثُورُ ! وَٱلْأَلَمُ ٱلْجارِفُ

يَجْري في غَوْرِهـــا ٱلْخَفّاقِ ؟

أَتُراها تعلُّ مِنْ خَمْرَةِ الْأَمْسِ
وَتَسْهو عَنِ الرَّحيقِ الْباقي
أَمْ تُراني بِها أُكَفِّرُ عَنْ حُلْمٍ
خَفِيٍّ يَقَرُّ في أَعْماقي ؟!

* * *

أَيُّها النَّجْمُ ! دُمْتَ في إِشْراقِ
جُنَّ صَبْري فَمَنْ يَحُلُّ وَثاقي ؟
اللَّيالي لَمْ تُبْقِ مُذْ عَرَفَتْني
غَيْرَ يَأْسٍ في الْقَلْبِ غَيْرِ مُطاقِ
خَنَقَتْ كُلَّ رَغْبَةٍ فِيَّ حَتَّى
ما أَرى في الْحَياةِ غَيْرَ نِفاقِ !
شَعَّثَتْ كُلَّ ما رَسَمْتُ مِنَ الْحُلْمِ
وَأَوْدَتْ بِوَهْمِيَ الْبَرّاقِ

وَطَوَتْ في ظَلامِهـــا حُلُمَ الْعُمْرِ
وَأُنْسَ الْقُلوبِ وَالْأَحْـــداقِ !

عَبَثًا أَحْدِجَ الْفَضاءَ ! فَما أُبْصِرُ
غَيْرَ السُّكونِ وَالْإِمْلاقِ

لا خَيالٌ أَمامَ عَيْنَيَّ يَخْتـــالُ
وَلا مُنْيَـةٌ وَراءَ الْمَـآقي

بَلْ فَراغٌ تَضِلُّ في تيهِـهِ الرُّوحُ
وَتَعْيـــا بِقَطْعِهِ أَشْـــواقي

كُلَّما أَوْغَلَ الْخَيـــالُ تَراءَتْ
فَوْقَ عَيْني كَـآبَةُ الْإِخْفـــاقِ

وَكَأَنَّ الزَّمانَ أَغْلَقَ دُوني
كُلَّ بابٍ يَخالُ مِنْـــهُ انْطِلاقي !

أَيُّها ٱلنَّجْمُ ! أَيُّ شَيْءٍ تُرى يَكْمُنُ
خَلْفَ ٱلْغُيومِ وَٱلآفاقِ ؟
الهَزارُ ٱلْحَزينُ لَنْ يَعْبُرَ ٱلْغابَ
وَيُصْغي لِغَمْغَماتِ ٱلسَّواقي
الزَّمانُ ٱلْعَتِيُّ شَلَّ جَناحَيْهِ
وَأَغْرى يَدَيْهِ بِٱلْأَطْواقِ !
أَيُّها ٱلنَّجْمُ ! لَنْ نَعودَ لِعَهْدٍ
كانَ دُنْيا مِنَ ٱلرَّجاءِ ٱلدِّفاقِ
أَنا ذاوٍ غَداً إِذا ذَوِيَ ٱلْوَرْدُ
وَمَرَّ ٱلْخَريفُ بِٱلْأَوْراقِ
نازِفٌ مِنْ دَمي بَقِيَّةَ حُلْمٍ
خَلَّفَتْها ٱلْأَيّامُ في أَعْراقي !

أَيُّهٰذا ٱلْخَريفُ ! لا أَرْهَبُ ٱلرّيحَ
فَعُدْ بِٱلْغُيـــــومِ وَٱلْإِبْراقِ
الرَّبيعُ ٱلَّذي أُؤَمِّلُ وَلّى
في ذُهولٍ وَرِقْبَةٍ وَٱشْتِياقِ !
أَنا شَيْخٌ أَدِبُّ في شُعَبِ ٱلْأَرْضِ
وَأَهْذُو بِغُرْبَتي وَفِراقي
أَنْزَوي في ٱلْحَياةِ .. أَذْكُرُ دُنْيايَ
وَأَحْيا في ٱلْأُمْنِياتِ ٱلْعِتاقِ
أَنْشُرُ ٱلذِّكْرياتِ بَيْنَ يَدَيْ يَوْمي
وَأَرْنو لَهُنَّ في ٱسْتِغْراقِ
وَعَلَى ٱلْمُقْلَتَيْنِ نَظْرَةُ يَأْسٍ
خَلَّفَتْها ٱلْكُروبُ فَوْقَ حِداقي !

أنا شَيْخٌ أَمُرُّ بِالْأَرْضِ سَأْمانَ
وَأَطْوي الْحَياةَ في إِشْفاقِ
وَأَرى الْحُلْمَ كَيْفَ يَفْنى عَلَى الْجَفْنِ
وَتَخْبو رُؤاهُ في أَعْماقي !
أَيُّهٰذا الْخَريفُ ! عُدْتَ إِلَى الْأَرْضِ
فَماذا لَقيتَ في آفاقي ؟
كُلُّ شَيْءٍ قَدْ ماتَ ! غَيْرَ حَنينٍ
خالِدٍ في دَمي وَفي أَحْداقي !

١٩٤٨

هباء

فَضاؤكَ مُرْبَدٌّ وَأُفْقُكَ مُغْلَقُ

وَلَيْلُكَ مُمْتَدٌّ ... فَأَيْنَ تُحَدِّقُ ؟

وَأَيْنَ تُرى تَمْضي وَقَدْ هَلَكَ الضِّيا !

أَلِلْغَيْبِ ؟ إِنَّ الْغَيْبَ خافٍ مُغَلَّقُ !

حَياتُكَ أَهْوالٌ فَكَيْفَ تَجوزُها

وَدَرْبُكَ أَشْواكٌ ، وَصَدْرُكَ ضَيِّقُ

وَهُدْبُكَ مبْهورُ الرُّعاشِ كَأَنَّهُ

عَلَى دَمْعَةٍ حَرّى يَرِفُّ وَيُطْبِقُ !

أَراكَ اجْتَوَيْتَ الْكائِناتِ وَعُفْتَها

وَأَقْبَلْتَ تَخْطو في الظَّلامِ وَتَطْرُقُ

تَظَلُّ تُغِذُّ السَّيْرَ هَيْمانَ لا تَعي
وَطَرْفُكَ في الْأُفْقِ الْقَصِيِّ مُعَلَّقُ

فَتَقْرَأُ في رُحْبِ الْفَضاءِ صَحائِفاً
يَضِجُّ لَها بِاكٍ وَيَزْفُرُ مُصْعَقُ

وَفي الدَّرْبِ أَوْراقٌ تَكادُ تَقولُ لي :
هُوَ الْعُمْرُ أَوْراقٌ تَجِفُّ وَتُسْحَقُ !

وَأَنَّتْ بِأُذْنَيَّ الرِّياحُ كَأَنَّها
صَدىٰ ذِكْرياتٍ كانَتِ الْأَمْسِ تَنْطِقُ

وَفي الدَّغَلِ الْمُلْتَفِّ غَمْغَمَ طائِرٌ
وَهَيْنَمَ خُفّاشٌ وَأَنَّ مُطَوَّقُ

وَفي وَسْوَساتِ الْماءِ يَخْتَلِطُ الصَّدىٰ
فَيَنْبَعِثُ الشَّجْوُ الْعَميقُ وَيَدْفُقُ

يَكادُ إذا أَصْغَيْتُ يَزْفُرُ بالْأَسىٰ
فَأَشْفِقُ مِنْهُ فَوْقَ ما كُنْتُ أَشْفِقُ !

مَدىً تَرْتَمي فيهِ الظُّنونُ وَتَنْتَهي
وَيَنْعَدِمُ الْحِسُّ الْكَليلُ الْمُوَثَّقُ

هُناكَ وَراءَ الْأُفْقِ تَلْتَمِعُ الرُّؤىٰ
وَتَسْتَيْقِظُ الرُّوحُ الَّتي تَتَشَوَّقُ

فَضاءٌ يَضِلُّ الْقَلْبُ فيهِ طَريقَهُ
فَيَقْتادُهُ الشَّوْقُ الْخَفِيُّ الْمُؤَرَّقُ

إلىٰ عالَمٍ ما إنْ تُحِسُّ حُدُودَهُ
تُحَلِّقُ فيهِ الذِّكْرياتُ وَتَخْفِقُ

يَحُطُّ بِهِ الْمَكْدودُ ثِقْلَ حَياتِهِ
وَيَسْتَرْوِحُ الْخَفْضَ الشَّبابُ الْمُفَرَّقُ

وَتَنْبِضُ أَحْــلامٌ وَتَحْيا مَشاعِرٌ
وَيَغْفُلُ أَسْوانٌ وَيَهْدَأُ مُرْهَقُ !

* * *

إِلىٰ أَيْنَ أَمْضي يا زَمانُ ! فَإِنَّني
أُراني في فَــكِّ ٱلْحَيــاةِ أَمَزَّقُ
فَفي طُرُقِ ٱلذِّكْرىٰ يُغَمْغِمُ مَوْعِدٌ
وَفي جَــدَدِ ٱلْأَيّامِ يَشْهَقُ مَوْثِقُ
إِلىٰ أَيْنَ أَمْضي؟ إِنَّ في ٱلدَّرْبِ ظُلْمَةً
يُراعُ لَهَــا ٱلْقَلْبُ ٱلشَّقِيُّ وَيَفْرَقُ
إِذا سِرْتُ أَضْواني ٱلْحَنينُ وَهَدَّني
وَساءَلَني قَلْبي : إِلىٰ أَيْنَ تُعْنِقُ ؟!
إِلىٰ أَيْنَ يا قَلْبي! لَقَدْ وَقَبَ ٱلدُّجىٰ
وَأَنْتَ إِلىٰ ما لَسْتُ أَدْري تُحَدِّقُ !

لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ يَوْمٌ يَلُمُّ شَتَاتَهُ
وَأَنْتَ مِنَ ٱلْأَيَّامِ شِلْوٌ مُمَزَّقُ

فَلا أَنْتَ فِي ماضٍ وَلا أَنْتَ فِي غَدٍ
وَلا يَوْمُكَ ٱلْيَوْمُ ٱلسَّعِيدُ ٱلْمُوَفَّقُ !

* * *

أَأَنْتَ ٱلَّذي أَفْنَيْتُ فِيكَ فُتُوَّتِي
وَأَنْفَقْتُ أَيَّامِي لَهُ أَتَحَرَّقُ

وَخِلْتُكَ دُنْيا لا يُحَدُّ جَمالُها
ظَلامُكَ أَضْواءٌ وَقُبْحُكَ رَوْنَقُ

إِذا جِئْتُها كَفَّ ٱلْفُؤادُ عَنِ ٱلْبُكا
وَهُدْهِدَ مَيْؤُوسٌ وَأَبْشَرَ مُطْرِقُ !

أَأَنْتَ ! أَمِ ٱلْحُلْمُ ٱلَّذي قَدْ نَسَجْتُهُ
فَلَمَّا ٱنْتَهى . . أَبْصَرْتُهُ يَتَخَرَّقُ

أَلَمْ تَصْفِرِ ٱلنَّكْباءُ في كُلِّ أَيْكَةٍ
فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ ذابِلٌ أَوْ مُحَرَّقُ
وَماتَتْ مُنىً غَذَّيْتُها بِحُشاشَتي
وَكُنْتُ لَها أَحْيا وَأَزْهىٰ وَأَوْرَقُ!
أَأَنْتَ! أَمِ ٱلْماءُ ٱلَّذي قَدْ تَبِعْتُهُ
فَإِذْ هُوَ آلٌ أَسْتَقيهِ فَيَأْبَقُ!
فَلا تُغْرِني يا دَهْرُ! أَنْتَ مُلَفِّقُ
فَما أَنا؟ ما ٱلْأَيّامُ.. إِنْ كُنْتَ تَصْدُقُ؟
هَباءٌ هِيَ ٱلدُّنْيا! هَباءٌ هِيَ ٱلرُّؤىٰ!
هَباءٌ هَباءٌ كُلُّ ما أَنا أَرْمُقُ!

١٩٤٧

في لهيب الذكرى

لَكِ قَلْبِي ! فَهَدْهِـديهِ قَليلا
قَبْلَ أَنْ يَنْفُضَ ٱلْحَياةَ مَلولا
وَأَجيلي يَدَيْكِ في صَـدْرِهِ ٱلدّامي
وَضُمّي جَناحَـه ٱلْمَشْلولا!
لَكِ قَلْبي ! فَمَنْ أَضَلَّكِ عَنْهُ
وَثَنَىٰ ذٰلِكَ ٱلْخَيـالَ طَويـلا ؟
إِيهِ يا ذِكْرياتُ! يا مَوْكِبَ ٱلْأَمْسِ!
وَيـا ظِلَّهُ ٱلنَّقِيَّ ٱلظَّليـلا
إِيهِ يا ذِكْرياتُ! لا تُنْكِري ٱلْقَلْبَ
وَلا تَحْـرِمي ٱلْفُـؤادَ دَليـلا

أَنْتِ بُقْيا الرَّحيقِ في شَفَةِ الْكَأْسِ
فَهَلاَّ نَقَعْتِ مِنْهُ غَليلا ؟!

رَفْرِفي في الْخَيالِ يَهْفُ لَكِ الْعُمْرُ
وَتَنْعَمْ بِكِ الْجُفونُ قَليلا

وَخُذي دَرْبَكِ النَّديَّ إِلىٰ الْقَلْبِ
وَشُقِّي إِلىٰ رُؤاهُ سَبيلا

هُوَ مَأْواكِ! فَامْنَحي رُكْنَهُ النُّورَ
وَبُثّي بِهِ النَّعيمَ شُكولا

باتَ يَرْعاكِ وَالْأَسىٰ مِلْءُ عَيْنَيْهِ
فَطوبىٰ لَقَدْ وَجَدْتِ خَليلا

كُلَّما قيلَ : عابِرٌ! حَدَجَ الْأُفْقَ
وَنَدّى لَكِ الذُّرىٰ تَهْليلا !

يا لَروحي ! يَمُرُّ في بالِها ٱلْأَمْسُ
فَيُحْيي لَهَا ٱلرَّجاءَ ٱلْقَتيلا

صُوَرٌ تُسْعِرُ ٱلْحَنينَ فَيَمْضي
قَلَقاً وارِياً وَأَمْناً ضَئيلا !

هُوَذا ٱلرَّوْضُ! وَٱلنَّدى يَلْثُمُ ٱلزَّهْرَ
وَيُدْمي شِفاهَهُ تَقْبيلا

وَٱلْغَديرُ ٱلدَّفّاقُ يَهْمُسُ أَنْ هُبَّ
فَأَهْوي عَلَيْهِ نِضْواً كَليلا

أَسْأَلُ ٱلْقَلْبَ : هَلْ نَعودُ ؟ فَيُغْضي
دامِعَ ٱلْجَفْنِ واجِماً مَخْبولا !

عَجَباً يا قَضاءُ ! كَيْفَ مَضى ٱلْأَمْسُ
وَما زالَ في هَوايَ مَثولا

غابَ عَنْ ناظِري وَما زِلْتُ أَحْيا
في رُؤاهُ مُخَبَّلاً مَذْهولا!

أَتُراني ضَلَلْتُ دَرْبي إِلَيْهِ
أَمْ تَخِذْتُ ٱلْوَهْمَ ٱلْغَوِيَّ دَليلا

أَمْ تُراني عَشَوْتُ، وَٱنْقَلَبَ ٱلْعُمْرُ
وَعادَ ٱلْيَقينُ شَكًّا ثَقيلا؟

أَوَأَهْذي؟ أَمْ تِلْكَ صَرْخَةُ روحٍ
وَجَدَتْ حُلْمَها ٱلْمُنيفَ طُلولا!

وَيْكَ يا قَلْبُ! كَيْفَ لا تُنْكِرُ ٱلْأَرْضَ
وَقَدْ أَثْقَلَتْ يَدَيْكَ كُبولا؟

ما ٱلَّذي يَرْسُمُ ٱلْخَيالُ عَلَى أُفْقِكَ
حَتّىٰ تَخالَهُ مَعْقولا؟!

أنا مَيْتٌ وَإنْ جَهِلْتَ ! وَوَهْمٌ
لَنْ تَرىٰ ما حَيِيتَ لي تَأْويلا !

* * *

إيهِ ياذِكْرياتُ ! هَلْ يَرْجِعُ ٱلْأَمْسُ
وَيَمْحو عَذابيَ ٱلْمَوْصولا ؟
أَتُراني أَزيحُ أَسْدالَ رُؤْيايَ
فَأَلْقي جَمالَهُ ٱلْمَغْلولا
وَيَجِفُّ ٱلْأَنينُ فَوْقَ شِفاهي
وَيَعودُ ٱلزَّمانُ حُلْماً جَميلا
وَيَعودُ ٱلْغَديرُ يَطْفَحُ بِٱلرِيِّ
وَأَسْقىٰ مُصَفَّقاً سَلْسَبيلا
وَيَقَرُّ ٱلْفُؤادُ..وَٱلطَّرْفُ..وَٱلشَّوْقُ
أَمِ ٱلْأَمْسُ لَنْ يُطيقَ قُفولا ؟

وَيْكَ قَلْبي! أَلَمْ تَزَلْ تَرْقُبُ الدَّهْرَ
وَتَشْتاقُهُ رَضِيًّا جَليلا ؟!

أَوَما أَدْبَرَ الزَّمانُ وَأَبْقى
مِلْءَ جَنْبَيْكَ لَهْفَةً وَغَليلا

أَولا تُبْصِرُ الرَّمادَ عَلَى فَوْدَيْكَ
يَنْعى شَبابَكَ الْمَأْمولا ؟!

أَنا وَحْدي يا قَلْبُ أَحْيا مَعَ الْيَأْسِ
وَوَحْدي أُصارِعُ التَّعْليلا

في دَمي ثَوْرَةٌ سَتَحْطِمُ نَفْسي
قَبْلَ أَنْ تَحْطِمَ الْمَدى الْمَجْهولا !

إِيهِ يا ذِكْرياتُ ! قَدْ هَمَدَ الْقَلْبُ
فَهَلْ تُرْقِبينَ عَنْهُ بَديلا ؟

آهِ هَيْهاتَ أَنْ يَعُودَ كَما كانَ
وَهَيْهاتَ أَنْ أَكُونَ بَخيلا

سَوْفَ أَبْكي عَلَيْهِ ما طَلَعَ ٱلْفَجْرُ
وَأَرْثي بِهِ ٱلشَّبابَ ٱلْقَتيلا !

أَنا وَحْدي هُنا أُوَدِّعُ عُمْري
فَمَتَىٰ تُزْمِعُ ٱلْحَياةُ رَحيلا ؟

أَنا وَحْدي أَهيمُ في طُرُقِ ٱلشَّوْكِ
وَأَجْني مَواجِعاً وَنُحولا

أَرْمُقُ ٱلْأُفْقَ.. وَٱلرُّؤىٰ فَوْقَ عَيْنَيَّ
حَيارىٰ تَسْتَطْلِعُ ٱلْمَجْهولا

وَأَعُبُّ ٱلسُّمومَ مِنْ قَدَحِ ٱلْيَأْسِ
وَأَسْقي جَنانِيَ ٱلْمَتْبولا !

أنا وَحْدي أَصيحُ بِالْأَمَلِ الْمَيْتِ!
فَيَأْبىٰ عَنِ الْمَنونِ نُكولا!

إِيهِ مالي أُحِسُّ بِالْقَلْبِ يعْيا
وَبِعَيْنَيَّ تَسْهُوانِ طَويلا

آنَ يا ذِكْرياتُ أَنْ نَبْرَحَ الْأَرْضَ
فَكوني لِيَ الْغَداةَ دَليلا!

١٩٤٧

قلق

طالَ اُنْتِظارُكِ فَارْقُدي ... وَوَهى اُصْطِبارُكِ فاشْهَدي

اللَّيْلُ يوشِكُ أَنْ يَجي ... ءَ وَما سَكَنْتِ لِمَقْصِدِ !

يا نَفْسُ ! عَذَّبَكِ الْحَنيـ ... ـنُ وَنالَ مِنْكِ تَلَدُّدي

وَأَنا الَّذي زَرَعَ النُّجو ... مَ وَقالَ : يا نَفْسُ اُحْصُدي

شَطَّ الْخَيالُ ! فَلَمْ أَجِدْ ... غَيْرَ الدُّموعِ عَلَى يَدي !

يا نَفْسُ ! ماذا تَرْقُبي ... نَ وَقَدْ وَعَيْتِ تَنَهُّدي ؟

أَخْمَدْتِ أَحْلامي وَكُنْـ ... ـتُ أَظُنُّها لَمْ تَخْمُدِ

قَلْبي الَّذي أَسْغَبْتَهُ ... وَتَرَكْتَهُ في فَدْفَدِ

يَحْيا عَلَى قَيْظِ الْهَجيـ ... ـرِ وَيَسْتَجيرُ بِجَلْمَدِ

جَحَدَ التُّرابَ وَلَوْ دَرى ... بِمَصيرِهِ لَمْ يَجْحَدِ

عاقَبْتِهِ وَقَد اُسْتَقا ... مَ ... فَهَلْ رَأَيْتِ تَمَرُّدي؟

أَنا ناقِمٌ تَخْشىٰ اَلْأَضا ... لِعُ نِقْمَتي وَتَشَدُّدي

أَمْشي فَتَزْدَحِمُ اَلرُّؤىٰ ... في مُقْلَتَيَّ وَتَغْتَدي

سَأَمانُ تَحْمِلُني اَلظُّنو ... نُ عَلَى جَناحٍ أَسْوَدِ

وَتَكادُ تَخْبِطُ بي اَلْخُطىٰ ... في كُلِّ دَرْبٍ مُجْهِدِ

حَتّىٰ أَكِلَّ مِنَ اَلسُّرىٰ ... وَأَمَلَّ كُلَّ تَفَرُّدِ!

يا نَفْسُ! ماذا تَأْمُلي ... نَ إِذا تُرِكْتِ إِلىٰ غَدِ؟

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ ما أُري ... دُ لَما رَأَيْتِ تَرَدُّدي

أَنا في اَلطَّريقِ مُحَيَّرٌ ... والهَفْتا لَوْ أَهْتَدي

أَخْشىٰ أَمُدُّ يَدي ... فَأَلْ ... فِي اَلشَّوْكَ تَقْطِفُهُ يَدي

قارَبْتُ أَنْ أَقْضي . . وَحُلْ ... مُ شَبيبَتي لَمْ يُولَدِ!

يا نَفْسُ! لَوْ صَدَقَ اَلزَّما ... نُ لَكُنْتُ غَيْرَ مُقَيَّدِ

وَلَرُحْتُ أَغْفِرُ لِلْحَيا ... ةِ أَثامَ يَوْمٍ أَنْكَدِ

أَنا في ٱلشُّكُوكِ أَكادُ لا ... أَجِدُ ٱلرِّضا في مَرْقَدِ

عَزَّ ٱلشِّفاءُ مِنَ ٱلْأَسى ... وَظَلَلْتُ جِدَّ مُسَهَّدِ

تَسْعى بِيَ ٱلْحَسَراتُ خَلْـ ... ـفَ سَرابِيَ ٱلْمُتَجَدِّدِ

وَيَصيحُ بي ٱلظَّمَأُ ٱللَّهِيـ ... ـفُ فَلا أَفِيءُ لِمَوْرِدِ

أَخْشى أَفِرُّ مِنَ ٱلرُّؤى ... فَأُضيعُ أَجْمَلَ مَوْعِدِ !

* * *

يا نَفْسُ عَذَّبَكِ ٱلْحَنيـ ... ـنُ وَنالَ مِنْكِ تَلَدُّدي

في ناظِرَيَّ مِنَ ٱلْحَيا ... ةِ بَقِيَّةٌ لَمْ تَنْفَدِ

أَرْوي بِها ظَمَأَ ٱلْمُنى ... وَمَرارَةَ ٱلزَّمَنِ ٱلصَّدي !

لا . . لا تَشُطَّ بِكِ ٱلظُّنو ... نُ فَما عَرَفْتِ تَوَجُّدي

أَخْشى أُريقُ شَمالَها ... فَيَضِجُّ مِنْ قَلَقٍ غَدي !

١٩٤٩

وردة ذابلة

بِاللهِ ! مَنْ حَطَّكِ فَوْقَ ٱلتُّرابْ
وَٱسْتَلَبَ ٱلنَّضْرَةَ مِنْ وَجْنَتِكْ ؟
يا وَرْقَتي ! قَدْ جَفَّ هٰذا ٱلشَّبابْ
وَرَقَدَ ٱلْمَوْتُ عَلَى صَفْحَتِكْ
وَٱلْعُمْرُ وَهْمٌ وَٱلْأَماني سَرابْ
فَكَيْفَ تَبْكينَ عَلَى خُضْرَتِكْ !

يا وَرْقَتي ! مَنْ أَثِمَتْ راحَتاهْ
فَراحَ يَنْقَضُّ عَلَى غُصْنِكِ ؟
أَعابِدٌ يَكْشِفُ سِرَّ الْحَياهْ
أَمْ مُلْهَمٌ يَقْبِسُ مِنْ فَنِّكِ
أَمْ عاشِقٌ قَدْ أَخْلَفَتْهُ رُؤاهْ
فَوَدَّ لَوْ يُدْفَنُ في حُضْنِكِ !

* * *

يا وَرْقَتي ! لَمْ يَدْنُ هٰذا الْخَريفْ
إِلاَّ وَأَنْتِ النَّبْتَةُ الزّائِفَهْ
رِياحُهُ تَزْفُرُ ! يا لَلْحُتُوفْ
تَعْبَثُ بِالْأُمْنِيَةِ الرّاجِفَهْ !
أَخافُ أَنْ تَثْأَرَ مِنْكِ الصُّروفْ
وَتَذْهَبَ الصَّيْحَةُ في الْعاصِفَهْ !

يَـدوسُكِ ٱلْعـابِرُ ! يـا لَلْأَثيمْ
كَأَنَّهُ لَيْسَ يُحِسُّ ٱلْجَـمالْ !
أَلَيْسَ في لَوْنِكِ لَوْنُ ٱلنَّعيمْ
وَمِلْءُ طَيّاتِكِ دِفْءُ ٱلظِّـلالْ ؟
يـا وَرْقَتي ! مَنْ لِلشَّقيِّ ٱلْـكَليمْ
إِنْ خَلَّفَتْهُ ٱلرّيحُ فَوْقَ ٱلرِّمالْ !

* * *

أَوَدُّ لَوْ تَنْبِضُ هٰـذي ٱلشِّفـاهْ
وَتَسْتَقي مـاءَكِ مِنْ أَدْمُعي
أَوَدُّ لَوْ أَسْكُبُ فيكِ ٱلْحَيـاهْ
وَيَغْتَذي صِلْعُكِ مِنْ أَضْلُعي
وَيَرْتَوي عِـرْقُكِ حَـتّى أَراهْ
لَمْ يَفْقِـدِ ٱلرِّيَّ وَلَمْ يُقْطَعِ !

وَاللَّيْلُ قَدْ غُمَّ ! وَهٰذا الرُّواقْ
تَمُدُّهُ الْأَجْنِحَةُ الْقاتِمَهْ
يا هَوْلَهُ ! يُذْهِلُ تِلْكَ الْحِداقْ
وَتَغْتَلي فيهِ الرُّؤىٰ الْعاتِمَهْ
كَأَنَّهُ يَمُّ عَتِيِّ الْوَثاقْ
وَنَحْنُ فيهِ خُصَلٌ عائِمَهْ !

* * *

وَأَنْتِ في راحَتِيَ النّاحِلَهْ
يَؤودُكِ الصَّمْتُ فَما تَنْبُسينْ
أَقْرَأُ في صَفْحَتِكِ الْحائِلَهْ
نِهايَةَ السِّفْرِ الَّذي تَكْتُبينْ
كَأَنَّ دُنْياكِ رُؤىً زائِلَهْ
يَخْتَلِطُ الشَّكُّ بِها وَالْيَقينْ !

يا وَرْقَتي ! إنّي أَخافُ الظُّنونْ

وَأَتَّقي الْأَخْيِلَةَ الْماكِرَهْ

أَخافُ أَنْ تَقْلِبَ فيَّ الْيَقينْ

فَأَجِدُ الْقُبْحَ رُؤىً ساحِرَهْ

أَخافُ أَنْ تُخْدَعَ هٰذي الْعُيونْ

فَتَضْحَكُ الْأَرْضُ بِنا ساخِرَهْ !

* * *

يا وَرْقَتي ! هَلْ تَرْجِعُ الذِّكْرياتْ

أَمْ يَذْهَبُ الْعُمْرُ وَتُطْوىٰ مَعَهْ ؟

وَالْأَمْسُ ! وَالْأَخيلَةُ الْماضِياتْ

وَغَدُنا ! وَالْجَنَّةُ الضّائِعَهْ

أَيَذْهَبُ الْعُمْرُ وَتُطْوىٰ الْحَياهْ

وَروحُنا لاهِفَةٌ جائِعَهْ ؟!

يا وَرْقَتي ! لَمْ يَبْقَ إلاّ الصَّدىٰ
يَئِنُّ في الْأُفْقِ فَهَلْ تَسْمَعِينْ ؟
وَالْبومُ يَنْعَقُ نُعـــاقَ الرَّدىٰ
وَأَنْتِ ما زِلْتِ لَهُ تَنْظُرِينْ
يا وَرْقَتي ! لا بُدَّ أَنْ نَرْقُدا
فَأَسْلِمي الرُّوحَ لِمَنْ تَعْبُدِينْ !

* * *

بِاللهِ ! مَنْ حَطَّكِ فَوْقَ التُّرابْ
وَاسْتَلَبَ النَّضْرَةَ مِنْ وَجْنَتِكْ ؟
يا وَرْقَتي ! قَدْ جَفَّ هٰذا الشَّبابْ
وَرَقَدَ الْمَوْتُ عَلَى صَفْحَتِكْ
وَالْعُمْرُ وَهْمٌ وَالْأَماني سَرابْ
فَكَيْفَ تَبْكِينَ عَلَى خُضْرَتِكْ !

١٩٤٧

فراق

أَنَبْأَةُ مَيْتٍ أَمْ أَنِينُ مُفارِقِ
وَزَفْرَةُ نارٍ أَمْ تَأَوُّهُ عاشِقِ ؟
أُحَدِّقُ في الدُّنْيا فَأَفْرَقُ مِنْ دُجىً
يُظَلِّلُ أَيّامي ويوقِرُ خافِقي
فَلا اللَّيْلُ نَدْيانٌ وَلا الْبَدْرُ بازِغٌ
وَلا النَّجْمُ في اللُّجِّ الْوَضيءِ بِغارِقِ
وَلا الْقَلْبُ حَيٌّ يَشْرَئِبُّ لِمُقْبِلٍ
وَلا الرُّوحُ ظَمْأَىٰ تَسْتَجيبُ لوامِقِ
مَواكِبُ أَيّامٍ تَمُرُّ كَئيبَةً
مُرورَ ثَكولٍ فاقِدِ اللُّبِّ حانِقِ

تَأَمَّلْتُها سُوداً كأنَّ ظَلامَها
رُواقُ جَحيمٍ فاغِرِ الشِّدْقِ حادِقِ
إذا رَمَقَتْها العَيْنُ أذْهَلَها الأَسى
فَأَلْقَتْ عَلَى الآفاقِ نَظْرَةَ ضائِقِ!

* * *

أَأَذْهَبُ وَحْدي! لا رَجاءٍ أُحِسُّهُ
وَلا بُرْءَ أَرْجو لِلْهُمومِ الطَّوارِقِ
حَياتيَ ماضٍ لا أُطيقُ فِراقَــهُ
فَما زِلْتُ أَحْياهُ بِرَغْمِ الحَقائِقِ!
تَرَكْتُكِ مَيْتاً لا يُحِسُّ وُجودَهُ
كَأَنْ خَطَأً قَدْ كانَ بَيْنَ الخَلائِقِ
إذا طَرَقَتْ أُذْنَيْهِ وَسْوَسَةُ الدُّجى
تَطَوَّحَ في لُجٍّ مِنَ الوَهْمِ دافِقِ

يُصَوِّرُ مِنْ أَوْهامِهِ كُلَّ صادِحِ
فَيُبْصِرُ في أَيّامِهِ كُلَّ ناعِقِ !
غَريبٌ ! كَأَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَتْ بِأَرْضِهِ
وَأَنَّ الْفَضاءَ الرَّحْبَ لَيْسَ بِشائِقِ
إِذا ما أَطَلَّ النَّجْمُ نَدَّ خَيالُهُ
وَغَضَّ عَلَى حُلْمٍ مِنَ الْأَمْسِ طارِقِ!

* * *

أَأَنْتِ حَياةٌ يا حَياةُ ! أَمِ الرُّؤَى
أَقامَتْكِ مِنْ وَهْمٍ خَدوعٍ مُنافِقِ ؟
وَإِلّا فَما أَلْقاهُ مِنْكِ ؟ وَأَنْتِ لي
ضَريحُ حُشاشاتٍ وَقَبْرُ مَواثِقِ !
أَأَنْتِ حَياةٌ أَمْ شَقِيٌّ حَضَنْتُهُ
فَهَشَّمَ أَغْراسي وَدَكَّ حَدائِقي ؟

وَهَلْ أَنْتِ يا أَيّامُ غَيْرُ قَوافِلٍ
تَخُبُّ إِلى ٱلْمَجْهولِ مِنْ غَيْرِ سائِقِ!
أَضَعْتُ بِها وَمْضَ ٱلرَّجاءِ فَأَقْفَرَتْ
رُؤايَ وَغابَتْ في ٱلظَّلامِ طَرائِقي
تَلَفَّتُّ فيها أَسْتَشِفُّ شُعــاعَةً
تُضيءُ وَلٰكِنْ عُدْتُ عَوْدَةَ بائِقِ!
ثَكِلْتُكِ نَفْسي! لاأُحِبُّ لَكِ ٱلْبَقا
وَعِفْتُكِ ياعَيْشي! فَلِمْ أَنْتَ لاحِقي؟
وَيا مَوْتُ قَدْ ماتَ ٱلرَّجاءُ فَمُرَّ بي
وَيا روحُ قَدْ حُمَّ ٱلْفِراقُ فَفارِقي!

١٩٤٧

العودة

تِلْكَ أَفْياؤُها يُهَدْهِدُهـا ٱللَّيْلُ !
فَتَغْفو قَريـرَةً مَوْهـونَهْ !
تَغْمُرُ ٱلْحَيَّ بِٱلظَّـلامِ ! فَتُطْوىٰ
لَجْلَجاتٌ . . وَتَسْتَقِرُّ سَكينَهْ
يَذْهَلُ ٱلطَّرْفُ في مَسالِكِها ٱلسُّودِ
وَيَهْفو إِلى ٱلظِّـلالِ ٱلْحَزينَـهْ
وَحَفيفُ ٱلْأَوْراقِ يَسْرِبُ في ٱلْأُذْنِ
وَيَشْكو إِلىٰ ٱلْفُؤادِ أَنينَـهْ
وَكَأَنَّ ٱلظَّلامَ سِدْلٌ مِنَ ٱلْغَيْبِ !
وَفيـهِ ٱلدِّيارُ غَرْقىٰ دَفينَـهْ !

جِئْتُهـا وَٱلْفُؤادُ قَدْ شَفَّهُ الشَّوْقُ

وَأَذْكى نُواحَـهْ وَحَنينَـهْ

أَنْقُلُ الطَّرْفَ في نَوافِذِها ٱلدُّكْنِ

وَأَرْنو إِلىٰ رُؤاهـا السَّجينَـهْ

وَأُنادي ! فَيَصْرُخُ الرُّوحُ لَهْفانَ

وَتَصْحو جِراحُـهُ ٱلْمَدْفونَـهْ :

إِنَّها دارُها ! فَقِفْ أَيُّها ٱلْقَلْبُ

وَنـادِ ٱلْمَواجِـعَ ٱلْمَكْنونَهْ

وَأَبْكِ عَـهْداً حَمَلْتَهُ بَيْنَ جَنْبَيْكَ

وَأَذْكَيْتَ في حَشـاكَ شُجونَهْ

إِنَّهـا دارُهـا ! فَلا تَرْفَعِ الصَّوْتَ

وَلا تُقْلِقِ الرِّحابَ ٱلْأَمينَـهْ !

ها هُنا كانَ عالَمٌ يَأْسُرُ الْقَلْبَ
وَيُحْيي مَواتَـهْ وَفُنـونَهْ

عالَمٌ تَعْبُرُ الظِّلالُ حَوالَيْـه
وَتَسْرِي الْمَواكِبُ الْمَيْمونَهْ

شَوَّهَتْهُ الْأَقْدارُ . فَانْتَثَرَ الطَّلُّ
وَماتَتْ زَنابِقٌ مَفْتونَهْ

فَهْوَ كَهْفُ الرُّؤى .. وَمَقْبَرَةُ الرُّوحِ
وَنَعْشُ الْهَناءَةِ الْمَطْعونَهْ

وَهْوَ في أَدْمُعي عُصارَةُ حُلْمٍ
بَدَّدَتْ راحَةُ الزَّمانِ فُتونَهْ

وَتَهاويلُ لَيْلَةٍ أَبْلَتِ الْعُمْرَ
وَدَكَّتْ أَفْراحَهْ وَظُنونَهْ !

عُدْتُ يا لَيْلَ! فَاقْطِفِي الزَّنْبَقَ الْغَضَّ
وَبُثِّي عَلَى الطَّرِيقِ غُصونَهْ
وَاجْتَنِي لي مِنَ الرَّبِيعِ شَذاهُ
وَخُذِي لي مِنَ الصَّباحِ جَبِينَهْ
وَقِفِي حَيْثُ تَعْلَمِينَ! فَهٰذا
مَوْقِفٌ كُنْتِ أَمْسِ لا تُنْكِرِينَهْ
وَيْحَ طَرْفِي! أَحِسُّ في فَمِكِ الرَّاجِفِ
صَوْتًا وَدَدْتِ لَوْ تَخْنُقِينَهْ
ما لِعَيْنَيْكِ تَدْمَعانِ!؟ أَفي عَيْنَيْكِ
سِرٌّ مُعَذَّبٌ تَكْتُمِينَهْ؟
ما تَقولينَ؟!.. يا لَقَلْبِيَ مَنْ ذَكَّ
رُؤاهُ وَمَنْ أَطالَ أَنِينَهْ؟

أَأَنا قَدْ خَرَجْتُ مِنْ جَنَّةِ الْحُلْمِ
أَجوبُ الْفيافيَ الْمَحْزونَهْ
أَوماتَ الْهَزارُ . . في فَمِهِ اللَّحْنُ !
وَضاعَتْ أَنْغامُهُ الْمَفْتونَهْ
وَيْكَ يا قَلْبُ ! لا أُريدُ لَكَ الصَّبْرَ !
فَدَعْني أَرُدُّ عَنْكَ سُكونَهْ
ماتَ سُؤْلي وَكانَ سِرَّ وُجودي
كَيْفَ أَوصيكَ أَنْ يَلَذَّكَ دونَهْ !

* * *

عُدْتُ يا أُخْتُ ! عُدْتُ أَنْزِفُ عَيْنَيَّ
وَأَبْكي عَلَى الرُّسومِ الدَّفينَهْ
عُدْتُ . . والهَفْتاهُ لَمْ يَعُدِ الْعُمْرُ
وَلَمْ تُرْجِعِ الْحَياةُ سِنينَهْ !

قَذَفَتْ بي ٱلْأَقْدارُ . . فَٱنْهَرَأَ ٱلْحُلْمُ

وَرَثَّتْ صَحائِفُ مَيْمونَهْ !

عُدْتُ يا أُخْتُ! فَاذْكُري أَنَّني عُدْتُ

وَقُولي أَلا تَعودُ ٱلسَّكينَهْ ؟

بَحَّ صَوْتي ! وَلَسْتُ أَسْمَعُ إِلاّ

نَبَأً مِنْ هَوايَ لا تَجْهَلينَهْ

صَوْتُ ماضِيَّ . . صَوْتُ أَيّامِنا ٱلْحَيَّ

وَبُقْيا عُهودِنا ٱلْمَكْنونَهْ !

إِيهِ أُخْتاهُ ! أَيْنَ حُلْمُ ٱللَّيالي

أَيْنَ هَدْيُ ٱلْحَياةِ أَيْنَ ٱلسَّفينَهْ ؟

ضَلَّ فُلْكي وَتاهَ في ٱلْعَيْلَمِ ٱلْغَمْرِ

فَوارَحْمَتاهُ ! هَلْ تَتْرُكينَهْ

يَضْرِبُ ٱلْمَوْجُ جانِبَيْهِ فَيَلْوِيهِ
وَيَرْمي عَلَى ٱلصُّخورِ مُتونَهْ
أَيْنَ رُبّانُهُ فَقَدْ غَمُضَ ٱلْأُفْقُ
وَهاجَتْ عَواصِفٌ مَجْنونَهْ
أَيْنَ شَطٌّ يَقيهِ زَمْزَمَةَ ٱلرَّعْدِ
وَيُلْقي عَلَى ٱلْعُبابِ رُكونَهْ
أَيْنَ رُبّانُهُ فَقَدْ كادَ يودي
أَيْنَ رُبّانُهُ . . أَلا تَذْكُرينَهْ ؟
إِيهِ أُخْتاهُ لا يَغُرَّكِ قَلْبٌ
مَزَّقَتْ طَعْنَةُ ٱلْقَضاءِ وَتينَهْ
عَبَثًا تَنْظُرينَ نَظْرَةَ إِشْفاقٍ
فَلَنْ تُرْجِعي ٱلْغَداةَ يَقينَهْ

إِنَّهُ ماتَ ! فَـاتْرُكيهِ مُسَجّىً

يَمْلأُ الشَّوْقُ روحَـهُ وَعُيونَهْ

وَاذْكُري أَنَّهُ أَحَبَّكِ ما عاشَ

وَقولي لِلْغَيْثِ يَنْفَحُ طيبَـهْ

وَاسْكُبي ثَمَّ دَمْعَةً ! ثُمَّ سيري

لا تُبـالي إِذا وَعَيْتِ أَنينَـهْ !

١٩٠٧

زفرة يأس

نَفَضَتْ أَخْيِلَةُ ٱللَّيْلِ عَنِ ٱلْقَلْبِ رُؤَاهُ
وَتَلَوَّىٰ ٱلْيَأْسُ فِي عَيْنَيَّ وَٱشْتَدَّ دُجَاهُ !
يَقْظَةٌ حَطَّتْ عَلَى ٱلْقَلْبِ فَضَجَّتْ رِئَتَاهُ
وَٱرْتَمَتْ فِي جَفْنِهِ ٱلْمُتْعَبِ أَطْيَافُ صِبَاهُ
فَإِذَا بِٱلْأَمْسِ أَشْوَاقٌ مُدَمَّاةٌ وَآهُ
وَإِذَا ٱلْغَفْلَةُ فِي ٱلْعَيْنِ حَنِينٌ وَٱنْتِبَاهُ !
يَا لَيَأْسٍ صَبَغَ ٱلْعُمْرَ ! فَحَالَتْ صَفْحَتَاهُ
يُشْفِقُ ٱلْقَلْبُ عَلَى أَشْلَائِهِ حِينَ يَرَاهُ
هَدَّ دُنْيَايَ وَأَوْدَتْ بِٱلْغَدِ ٱلْحَيِّ يَدَاهُ
وَرَأَى ٱلْحُلْمَ ٱلَّذِي آثَرَ قَلْبِي فَمَحَاهُ !

رَحْمَةً أَيَّتُها النَّفْسُ ! فَقَدْ طالَ عَذابي
أَنا في غَمْرَةِ بَلْوايَ وَغُمّاتِ مُصابي
أَمْزُجُ الدَّمْعَ الَّذي أَذْرِفُ بِالْقَلْبِ الْمُذابِ !
لَمْ يَعُدْ في قَلْبِيَ الْمُوحِشِ شَيْءٌ مِنْ رِغابي
كُلُّ ما أُبْصِرُ في دُنْيايَ مُفْضٍ لِسَرابِ !
السُّرىٰ طالَ ! وَهٰذا اللَّيْلُ لا يَعْلَمُ ما بي
أَيَّ شَيْءٍ صَنَعَ الدَّهْرُ بِكَأْسي وَشَرابي ؟
تَرَكَتْني سَوْرَةُ الْيَأْسِ أُغَنِّي عَذابِ
تَصْرُخُ اللَّهْفَةُ في عِرْقي وَتَبْكي في إِهابي
كُلَّما أَسْكَتُّها .. ضَجَّ مِنَ السُّخْطِ شَبابي !

أَأَنا يا لَيْلُ ! أَمْ هٰذا خَيالُ ٱلذِّكْرياتِ
يَبْعَثُ ٱلْأَمْسَ ٱلَّذي مَرَّ وَيُذْكي خَفَقاتي !
وَٱلْمُنىٰ ٱلْبيضُ عَلَى كَفَّيَّ أَشْلاءُ رُفاتِ
يَنْقُلُ ٱلدَّهْرُ عَلَيْها خُطُواتٍ حَذِراتِ
كُلَّما مَرَّ بِها . . مَرَّ بِخَوْفٍ وَأَناةِ
ناثِراً فَوْقَ بَقاياها أَصاليلَ حَياتي !
رَبِّ ! مَنْ سَوَّدَ دُنْيايَ وَمَنْ قَيَّدَ ذاتي !
مَنْ تُرىٰ غَلَّ أَمانيَّ وَمَنْ كَمَّ شَكاتي !
أَنا في ثَوْرَتِيَ ٱلْبَكْماءِ أَبْكي أُمْنِياتي
وَأُحِسُّ ٱلْقَلَقَ ٱلْمَحْمومَ يَجْري في لُهاتي !

لا تلومي ! ذَهَبَ ٱلدَّهْرُ بإيماني وَشَكّي
لَمْ أَعُدْ أَحْفِلُ بِٱلصِّدْقِ وَلا أُصْغي لإِفْكِ!
جاعَ عُمْري ! فَمَضىٰ يَلْقَفُ بَلْواىَ وَضِحْكي
وَجَرىٰ بي ٱلْفُلْكُ في ٱلْيَمِّ فَهَدَّ ٱلْمَوْجُ فُلْكي
أَنا طَيْرٌ خَنَقَتْ أَنْغـــامَهُ طَعْنَةُ هُلْكِ
ماتَ إلاّ خَفَقاتٍ لَمْ تَزَلْ تَسْـأَلُ عَنْكِ
وَصِباً مُضْطَرِمُ ٱلْأَنْفاسِ مَخْنوقُ ٱلتَّشَكي
حائرٌ يَفْتِكُ بِٱلْعُمْرِ .. وَلٰكِنْ أَيَّ فَتْكِ!
مَزَّقَ ٱلْحُلْمَ ٱلَّذي عِشْتُ وَما رَقَّ لِنُسْكي
وَصَفا ٱلسِّتْرَ عَلَيْهِ فَتَوارىٰ .. وَهْوَ يَبْكي!

١٩٤٨

أشواق

ذَكَرْتُ الْأَمْسَ! فَانْتَفَضَتْ
رُؤاهُ فَوْقَ أَحْداقي
تَلوبُ عَلَى شَبابِ مُنىً
وَقَفْتُ عَلَيْهِ أَشْواقي!
وَمَرَّ الطَّيْفُ في قَلَقٍ
فَحَدَّقْتُ بِإِشْفاقِ
وَرُحْتُ أُقلِّبُ الطَّرْفَ
وَراءَ خَيالِهِ الْباقي

يَكادُ يُحَدِّثُ ٱلنَّفْسَ
حَديثَ ٱلْمُشْفِقِ ٱلْواقي
وَيَنْقُلُني إِلىٰ أُفْقٍ
أُطيلُ عَلَيْهِ إِطْراقي
وَتَخْفِقُ فيهِ أَوْهامي
وَتَشْرُدُ فيهِ آماقي
وَأُصْغي فيهِ لِلشَّوْقِ ٱلَّـ
ـذي يَمْلَأُ أَعْماقي!
ذَكَرْتُ ٱلْأَمْسَ! فَٱلْتَفِتي
فَقَدْ داريْتُ إِمْلاقي!
رياحُ ٱللَّيْلِ لَنْ تَنْثُـ
ـرَ عِنْدَ ٱلْفَجْرِ أَوْراقي

وَلَنْ تَقْتُلَ أَحْـــلامي

وَلَنْ تَفْضَحَ إِخْفـــاقي

فَكَمْ أَهْرَقْتُ مِنْ كَأْسٍ

وَكَمْ أَغْضَبْتُ مِنْ ساقي

وَكَمْ راوَدْتُ مِنْ حُلْمٍ

سَرِيِّ اللَّمْـــحِ بَرّاقِ

أَهَبْتُ بِهِ أُســـائِلُهُ

فَغابَ وَراءَ أَحْـداقي!

* * *

مَكانَكَ أَيُّهـــا الدَّهْرُ

فَلَنْ أَخْفِرَ ميثـــاقي

فَكَيْفَ تَدُورُ بي الدُّنْيا

إِذا ضَيَّعْتُ أَشْـــواقي!

١٩٤٨

الشبح الزائر

لا تُغْمِضي الْجَفْنَ وَلا تَفْرَقي
فَلَيْسَ في لَيْـــلِيَ ما أَتَّقي
لي النَّجْـــمُ أَسْتَنْطِقُ أَسْرارَهُ
وَلي طُروقُ الْحُلُمِ الشَّيِّقِ !

لا تُغْمِضي الْجَفْنَ ! فَإِنَّ الدُّجى
يَحْمِلُ مِنْ ماضيكِ ما قَدْ بَقي
مَواكِبَ الزَّهْوِ، وَدَفْقَ الْهَوى
وَأَنَّةَ الْمُعْتَلِجِ الْمُرْهَقِ !

وَالنَّجْمُ كَالْحُلْمِ : خَفِيُّ السُّرى
قَدْ غابَ في الْغَيْمِ وَلَمْ يَغْرَقِ
ناشَدْتُهُ الْأَمْسَ ... وَماذا لَقي !
إِنْ كانَ قَدْ راحَ .. فَهَلْ نَلْتَقي ؟
يا عَيْنُ ! قَدْ حِرْتُ وَهٰذي الرُّؤى
تَقْذِفُ بي في لُجِّها الْمُغْرِقِ
إِخالُها تَنْفُضُ أَطْيافَها
فَوْقَ ضَبابِ الْأُفُقِ الْمُغْلَقِ !
يا عَيْنُ ! هٰذا شَبَحٌ في الدُّجى
يُومِيءُ أَنْ هُبَّ ... فَلا تَحْنَقي
أَخافُ أَنْ يَحْسَبَ بي جَفْوَةً
فَيَتْرُكَ الدّارَ وَلَمْ يَنْطِقِ !

يا طَيْفُ ! مَنْ أَنْتَ ؟ وما غَضْبَةْ

خَرْساءُ في ثَغْرِكَ لَمْ تُعْتَقِ ؟

قَدْ هَـــدَأَ ٱللَّيْلُ .. فَقُلْ ما تَشا !

وَٱلْـكَوْنُ قَدْ نامَ .. فَمَنْ تَتَّقي ؟

الشبح

أَتَسْأَلُني ما ٱسْمي وَلِمْ أَنـــا غاضِبْ

وَقَدْ أَدْرَكَتْ عَيْناكَ كُنْهَ تَجَهُّمي ؟!

أَنا ٱلْقَدَرُ ٱلْقاضي ! وَأَنْتَ ٱلَّذي طَغى

فَلَمْ يَرْضَ بي رَأْيَ ٱلْقَضاءِ ٱلْمُحَكَّمِ

الشاعر

أَ أَنْتَ ! أَمِ ٱلْوَحْشُ ٱلَّذي صِيغَ عِرْقُهُ

مِنَ ٱلْأَلَمِ ٱلذَّبّاحِ وَٱلدَّمْعِ وَٱلدَّمِ

نَذوقُ عَلَى كَفَّيْكَ نَزْفَ جِراحِنا
وَنَمْزُجُ مِنْ فيكَ الزُّلالَ بِعَلْقَمِ !

الشبح والشاعر يحاول الانصراف

مَكانَكَ يا هٰـذا ! فَلَسْتَ بِمُبْصِرٍ
سِـــوايَ أنا !

الشاعر بألم

يا لَلْقَضاءِ الْمُحَتَّمِ !

الشبح

أَتَبْكي ! ؟

الشاعر

أَجَلْ أَبْكي ! وَأَبْـكي مَلاوَةً
مِنَ الْعُمْرِ لَمْ تُزْهِرْ وَلَمْ تَتَنَعَّمِ

قَذَفْتُ بها لِلظّامِئاتِ مِنَ الرُّؤىٰ

فَلَمْ تُبْقِ مِنْها غَيْرَ بَعْضِ تَوَهُّمِ

ظَنَنْتُ الزَّمانَ الْوَحْشَ يَذْهَبُ جوعُهُ

إِذا هُوَ أَوْدىٰ بِالصِّبا الْمُتَقَدِّمِ

فَمـــا نالَهُ حَتّىٰ أَطَلَّ بنابِهِ

لِيَلْقَفَ أَنْفاسي وَيَنْثُرَ أَعْظُمي !

الشبح

أَتَبْكي ؟!

الشاعر

أَجَلْ أَبْكي ! وَأَبْكي عَلَى غَدِ

ذَبَحْتُ لَهُ عُمْري وَقُلْتُ لَهُ : اُنْعَمِ

سَأَقْطِفُ فيكَ ٱلْأُمْنيـــاتِ جَنِيَّةً
وَأَمْحو بِراحاتِ ٱلنَّعيمِ تَجَهُّمي !

الشبح

أَتَبْكي ! وَما يُبْكيكَ ؟

الشاعر

دَهْرٌ بَلَوْتُهُ فَكانَ لِيَ ٱلظُّفْرَ ٱلَّذي لَمْ يُقَلَّمِ
وَعَهْدٌ تَنَظَّرْتُ ٱلنَّعيمَ خِـلالَهُ
فَلَمْ أَرَ فيـهِ غَيْرَ بَرْحٍ مُخَيِّمِ
وَيَأْسٌ أَذاقَ ٱلْقَلْبَ ما قَدْ أَذاقَهُ
وَأَلْقاهُ في جَوْفٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ مُظْلِمِ
وَاصْبَحْتُ في وادٍ تَصِرُّ رياحُـهُ
وَتَعْصِفُ بِٱلْعُشْبِ ٱلْفَتِيِّ ٱلْمُنَمْنَمِ

كَأَنَّ يَداً هَوْجاءَ قَصَّتْ غِراسَهُ

وَأَوْدَتْ بِساقِيهِ ٱلْخَفِيِّ ٱلْمُتَيَّمِ

أُقَلِّبُ طَرْفي في ٱلْفَضاءِ فَلا أَرىٰ

سِوىٰ أَمَلٍ بالٍ وَحُلْمٍ مُهَدَّمِ !

الشبح

أَدُنْياكَ هٰذي ! يا لَفَجْرٍ طَمَسْتُهُ

وَكُنْتَ لَهُ في رِقْبَةٍ وَتَوَسُّمِ

لَقَدْ أَرْجَعَتْ كَفّايَ كُلَّ غَمامَةٍ

أَزَحْتَ ... وَكادَتْ لِلصَّباحِ ٱلْمُنَعَّمِ !

حَنانَيْكَ ! إِنّي لا أَوَدُّ لَكَ ٱلْأَذىٰ

حَنانَيْكَ ! إِنّي لا أُطيقُ تَنَدُّمي

أتوبُ .. وَإِنْ لَمْ يُجْدِ تَوْبٌ وَلا أَسىً

فَكُفَّ عَنِ ٱلْيَأْسِ ٱلْمَرِيرِ ٱلْمُحَطِّمِ

وَلَوْ كُنْتُ أَدْري أَيَّ حِسٍّ مُعَقَّدٍ

وَأَيَّ شُعورٍ أَنْتَ .. لَمْ أَرْمِ أَسْهُمي !

وَلٰكِنَّني أَتْرَعْتُ فاكَ مَرارَةً

فَيالَيَ مِنْ باغٍ عَتِيٍّ مُذَمَّمِ !

وَانْتَفَضَ ٱلطَّيْفُ ! فَإِذْ دَمْعَةٌ

تَجولُ في مَحْجِرِهِ الغائِرِ

أَلْمَحُ في رَقْراقِها لَذْعَةً

مِنْ لَذَعاتِ ٱلنَّدَمِ ٱلظافِرِ !

نادَيْتُ.. وَٱلْيَأْسُ يُميتُ ٱلرُّؤىٰ

في جَفْنَيَ ٱلْمُسْتَسْلِمِ ٱلْحائِرِ :

قَدْ كُنْتُ ياطَيْفُ أَحُثُّ ٱلْخُطىٰ

عَنْ عَتَباتِ ٱلْأَلَمِ ٱلْقاهِرِ

وَأَرْقُبُ ٱلآمالَ فَيّاضَةً

وَأَنْزِعُ ٱلْكُدْرَةَ مِنْ خاطِري

لَوْ كانَ لِلْأَمْسِ لَنا رَجْعَةٌ

وَٱلْأَمْسُ لا يَرْجِعُ يا زائِري!

١٩٤٨

الأغنية الأخيرة

يَدايَ عَلَى ٱلْوَتَرِ ٱلطَّيِّعِ
فَلا تَنفُري مِنْهُ أَوْ تَجْزَعي
لَقَدْ أَسْكَتَتْهُ عَوادي ٱلْحَياةِ
وَشَلَّتْ نَوائِبُها إِصْبَعي !
أَنا تائِهٌ في شِعابِ ٱلْوُجودِ
أُفَتِّشُ عَنْ أُفُقٍ أَوْسَعِ
أُفَتِّشُ عَنْ نَغَمٍ لا يَموتُ
وَأَبْحَثُ في ٱلْأَرْضِ عَنْ مَضْجَعِ
أَقَرُّ بِهِ مِنْ كَلالِ ٱلْحَياةِ
وَأَنْجو مِنَ ٱلْعَدَمِ ٱلْمُفزِعِ !

أَأَسْكُتُ يا لَيْلُ ؟ إِنَّ الضُّلوعَ
تَصُكُّ بِأَنَّاتِهـا مِسْمَعي
يُخَيَّلُ لي أَنَّهـا تَسْتَغيثُ
بِنَبْرَةِ بـاكٍ وَمُسْتَضْرِعِ !
وَفي شَفَتَيَّ بَقـايا رُؤىً
تَسـاوَقُ في نَغَمٍ موجَعِ
أَوَدُّ لَهَا أَنْ تَتِمَّ الْحَيـاةُ
عَلَى وَقْعِهـا الآسِرِ الْمُبْدِعِ
فَتُمْسِكُها غُصَّةٌ في الْفُؤادِ
وَتَخْنُقُهـا فَـوْرَةُ الْأَدْمُـعِ
وَأَكْتُمُها ! يا لَظُلْمِ الْقَضاءِ
وَأَزْجُرُهـا وَأَنـا لا أَعي !

حَنانَيْكِ ! كَيْفَ تَقَرُّ الظُّنونُ

وَقَدْ نَفِدَ الْماءُ مِنْ أَرْبُعي

هَوايَ هَوايَ مُنىً تَشْرَئِبُّ

فَيَقْتُلُها ظَمَأُ الْمَوْضِعِ

تَفِرُّ إِلى الْفَمِ تَشْكُو الْهَوانَ

فَتَرْجِعُ بِالرَّهَقِ الْمُفْجِعِ !

وَفي كَبِدي حَسْرَةٌ لا تَقَرُّ

وَلٰكِنْ تُغالِبُها أَضْلُعي

تَكادُ إِذا اضْطَرَمَتْ في الْفُؤادِ

تَصيحُ بِها الْكِبْرياءُ : ارْجِعي !

أَنا اللَّيْلُ ـ يا لَيْلُ ـ أَطْوي الضُّلوعَ

عَلَى غَسَقٍ دامِسٍ مُفْزِعِ

تُعَرْبِدُ فيهِ ظِـلالُ ٱلْجَحيمِ
وَتَزْحَمُ أَشْباحُهـا مَخْدَعي

وَأَشْهَدُ في رُكْنِهِ ٱلْمُدْلَهِمِّ
مَصارِعَ أَحْـلامِيَ ٱلْهُجَّعِ

وَأَلْمَحُ أَشْواقِيَ ٱلْباكياتِ
تَنوحُ عَلى قَلْبِيَ ٱلْمُوجَـعِ

وَأَسْمَعُ فيهِ ٱحْتِضارَ ٱلْأَمانِ
عَلَى صَخْـرَةِ ٱلْقَلَقِ ٱلْمُفْظِعِ

مَآسٍ أُكَبِّلُهـا في ٱلْفُؤادِ
وَيُطْلِقُها ٱلْيَـأْسُ في أَدْمُعي

تَفيضُ بِها ٱلنَّفْسُ! يا لَلْخِضَمِّ
تَضيقُ بِأَمْواجِـهِ أَضْلُعي!

وَإِنّي لأَسْعىٰ خِـلالَ الظَّلامِ
عَلَى ذٰلِكَ الْجَـدَدِ الْمُمْرِعِ

أُهَدْهِدُ أَنْفاسيَ اللاّهِثـاتِ
وَأَهْـزَأُ بِالزَّمَنِ الْمُسْرِعِ

أُسائِلُ دُنْيايَ : فيمَ الْحَياةُ
وَمِمَّ نَخـافُ وَماذا نَعي ؟

أَتَذْهَبُ أَيّامُنا الْباقيـاتُ
أَلَمْ تَمْضِ قَبْلُ وَلَمْ نَجْزَعِ ؟!

فَراغٌ هُوَ الْعُمْرُ : لا شَيْءَ فيهِ
فَماذا وَراءَ الْفَضاءِ الدَّعي ! ؟

وَأَمْضي إِلىٰ غَـيْرِ ما غايَةٍ
وَأُصْغي إِلَى الْكَوْكَبِ الْمُزْمِعِ

إلىٰ أَنْ تَفيضَ بيَ الذِّكْرياتُ
وَتَمْلأَ أَطْيافُهـــا مَدْمَعي

وَأَسْمَعَ خَطْوَكِ كَالْأُغْنياتِ
عَلَى قَلْبيَ الْمُرْهَقِ الْمولَعِ

وَأُبْصِرَ مِلْءَ الرُّؤى وَالْحَياةِ
خَيالَكِ يا أُخْتُ يَسْعىٰ مَعي

يُكَفْكِفُ عَبْراتيَ الْجارياتِ
وَيَفْتَرُّ في وَجْهيَ الْأَسْفَعِ

وَأَلْمَحُ في فَمِـــهِ بَسْمَةً
أَكادُ أُكَلِّمُهـا لَوْ تَعي !

وَتَسْأَلُني شَفَتـــاهُ الْمَزيدَ
وَيَهْتِفُ بي الْجَفْنُ : لا تَقْنَعِ

فَأُمْسِكُ أَوْتارِيَ النّاحِبـاتِ
وَأَحْنو عَلَى كَبِدِيَ الْمُوجَعِ
لأَنْـثُرَهُ فِـلْذَةً فِـلْذَةً
وَأَصْدَحَ بِالنَّغَمِ الْمُمْتِـعِ !

١٩٤٨

قبيل الوداع

أَتَقْنَعُ بِالذِّكْرىٰ وَما كُنْتَ تَقْنَعُ
وَيَشْغَلُكَ الدَّهْرُ الْغَبِيُّ فَتَخْنَعُ
وَتَأْمُلُ أَنْ تَحْيا وَقَدْ ذَهَبَ الصِّبا
وَأَقْفَرَ قَلْبٌ وَاسْتَكانَ تَطَلُّعُ !
أَتَقْنَعُ بِالذِّكْرىٰ وَقَدْ أَزِفَ النَّوىٰ
وَأَنَّ بِجَنْبَيْكَ الْفُؤادُ الْمُرَوَّعُ
حَياتُكَ أَوْهامُ السَّرابِ لَقِفْتَها
وَأَيُّ سَرابٍ لا يُثِيرُ وَيَخْدَعُ ؟
فَماضٍ تَقَرُّ الْعَيْنُ فيهِ وَتَرْتَعُ
وَيَوْمٌ يَنوءُ الْقَلْبُ مِنْهُ وَيَجْزَعُ

وَما مِنْ غَدٍ ! إِنَّ ٱلزَّمانَ ٱلَّذي طَغىٰ
أَبىٰ أَنْ يَرىٰ لي مِنْ غَدٍ يُتَوَقَّعُ !

مُناكَ طَريقُ ٱلرّيحِ ، وَٱلْعُمْرُ قَفْرَةٌ
وَدَمْعُكَ فَيْضٌ ، وَٱلْحُشاشَةُ بَلْقَعُ

تُحَدِّقُ في رُحْبِ ٱلْفَضاءِ فَلا تَرىٰ
سِوىٰ ٱلذِّكَرِ ٱلْبيضِ ٱلَّتي تَتَطَلَّعُ

تُنازِعُني يَومي ! فَتَنْتَثِرُ ٱلرُّؤىٰ
وَيَبْرُزُ لي ٱلْأَمْسُ ٱلْقَريبُ وَيَطْلُعُ

مَواكِبُ لَمْ يَسْلُ ٱلْفُؤادُ جَلالَها
وَلَمْ يَخْبُ شَوْقٌ أَوْ يَكُفَّ تَوَلُّعُ

رَبيعٌ تَتيهُ ٱلْعَيْنُ في بَهَجاتِهِ
وَتَطْلُعُ فيهِ ٱلْأُمْنِياتُ وَتُمْرِعُ

نَثَرْتُ عَلَى طولِ ٱلطَّريقِ نُفاحَه
فَوالهَفَتَـــاهُ لَوْ يُعادُ وَيُجْمَعُ !

خَيالٌ مِنَ ٱلْماضي يَكادُ إِذا حَنا
تَبَسَّمُ رُؤاهُ ثُمَّ يَعْتُـــو فَيرْجِـــعُ

يُغَمْغِمُ بِٱلشَّوْقِ ٱلْحَبيسِ وَيَغْتَلي
فَتَطْفُرُ عَبْراتٌ وَتَخْفِقُ أَضْلُعُ !

نِداءٌ مِنَ ٱلْأَعْماقِ يَحْفَلُ بِٱلرُّؤىٰ
وَيَدْفُقُ بِٱلشَّجْوِ ٱلْعَميقِ وَيَنْبُـــعُ

يُصَوِّرُ مِنْ غُرِّ ٱلْعُهودِ ٱلَّتي مَضَتْ
صَحائِفَ لا تَبْلىٰ وَلا تَتَصَدَّعُ

إِذا رَمَقَتْها ٱلْعَيْنُ أَذْهَلَها ٱلْأَسىٰ
وَكادَتْ مِنَ ٱلشَّوْقِ ٱلْمُلِحِّ تَقَطَّعُ !

فَدَيْتُكِ ! مَنْ يُحْيي ٱلرَّجاءَ إذا قَضىٰ
وَمَنْ يَغْرِسُ ٱلْوُدَّ ٱلْعَميقَ وَيَزْرَعُ

وَمَنْ يَجْتَني زَهْرَ ٱلْحَياةِ إذا زَهَتْ
وَأَشْرَقَ في ٱلرَّوْضِ ٱلرَّبيعُ ٱلْمُرَصَّعُ ؟

ذَهَبْتِ وَقَدْ رَفَّتْ سَنابِلُ حَقْلِنا
فَعاوَدَها يَبْسٌ وَكَفَّ تَرَعْرُعُ

هِيَ ٱلْيَوْمَ أَكْوامٌ يَسوقُ لَها ٱلْأَسىٰ
فَراغُ ٱللَّيالي وَٱلنُّواحُ ٱلْمُرَجَّعُ

تُبَعْثِرُها ريحُ ٱلْخَريفِ إذا غَدَتْ
وَيَضْرِبُها ٱللَّيْلُ ٱلْمَخوفُ وَيَصْفَعُ

أَمُرُّ بِها أَسْوانَ مُعْتَلِجَ ٱلْحَشا
فَأَسْمَعُ مِنْها فَوْقَ ما كُنْتُ أَسْمَعُ

تُسائِلُني وَٱلنّـــارُ تَزْفُرُ في دَمي

وَقَلْبيَ مَجْنونُ ٱلظُّنونِ مُوَجَّعُ :

أَأُجْفى بِلا ذَنْبٍ وَأُتْرَكُ في ٱلْعَرا

يُرَوِّعُني قُـــرٌّ وَتَنْثُرُ زَعْزَعُ ؟

زَرَعْتَ لِكَيْ تَجْني! فَمَنْ لَمَسَ ٱلثَّرى

فَجَفَّتْ أَزاهيرٌ وَماتَ تَضَوُّعُ ؟!

حَياتيَ ! أَنْتِ ٱللَّيلُ أَجْزَعُ ما بَدا

وَأَنْتِ ٱلْمَآسي وَٱلْحِمـــامُ ٱلْمُقَنَّعُ

أَخافُ إِذا سالَمْتُكِ ٱلْجُبْنَ وَٱلرِّضا

يَقَرّانِ في ٱلنَّفْسِ ٱلصَّبورِ فَتَخْنَعُ

وَأَفْرَقُ مِنْ قَلْبٍ يُلِحُّ عَذابُهُ

عَلَيْهِ .. فَلا يَعْنو وَلا يَتَجَـــزَّعُ

يَفُتُّ تُرابَ ٱلْأَرْضِ كَيْ يَغْتَذي بِهِ

وَيَكْرَعُ مِنْ فَيْضِ ٱلدُّموعِ وَيَجْرَعُ !

فَـــدَيْتُكِ ! لا تُغْضِبْكِ أَنَّةُ خافِقٍ

يَكادُ إِذا مَرَّتْ بِهِ ٱلرّيحُ يَخْشَعُ

لَهيفِ ٱلْحَشا يَبْكي إِذا ذَكَرَ ٱلصِّبا

وَأَيْقَنَ أَنَّ ٱلْعُمْرَ سَوْفَ يُضَيَّعُ

لَقَدْ سَلَبَتْهُ ٱلْحَـــادِثاتُ نَعيمَهُ

وَأَيُّ نَعيمٍ بَعْـــدَ حُبِّكِ يَنْفَعُ ؟

هَوانا وَليدٌ لَنْ يَموتَ وَإِنْ قَسَتْ

عَلَيْهِ ٱللَّيالي فَهْوَ يَقْظانُ مُتْرَعُ

سَيَقْتاتُ بِٱلذِّكْرى إِذا خَشِيَ ٱلطَّوى

وَيُشْهِدُ أَجْفانَ ٱلسَّماءِ فَتَدْمَعُ !

فُؤادِيَ قُلْ لي مَنْ مَلاذُكَ في غَدٍ
إذا أَسْوَدَّ لَيْلٌ أَوْ تَقَلْقَلَ مَوْضِعُ

وَمَنْ يَلْمُسُ ٱلْقَلْبَ ٱلْجَريحَ بِراحِهِ
فَتَخْفتُ أَنّاتٌ وَيَهْدَأُ موجَعُ ؟

غَداً تَفْقِدُ ٱلدُّنْيا رُواءَ حَياتِهـا
فَأَيَّ طَريقٍ بَعْدَها سَوْفَ تَتْبَعُ ؟

سَتَفْتَقِدُ ٱلنُّعْمىٰ وَتَلْتَمِسُ ٱلْهُدىٰ
وَتَصْرُخُ بِٱلنَّجْمِ ٱلْبَعيدِ وَتَضْرَعُ

وَتَرْقُبُ مِنْ نُعْماكَ فَيْءَ حَنانِها
فَلا أَنْتَ تَلْقاهُ وَلا ٱلشَّوْقُ يُدْفَعُ

تُسائِلُ : لِمْ بانَتْ وَلِمْ أَزِفَ ٱلنَّوىٰ ؟
وَمِنْ يَدِها تُعْطىٰ ٱلْحَياةُ وَتُمْنَعُ

رُؤىً كُنْتَ تَحْياها فَما أَنْتَ صانِعٌ
إِذا ما خَلا مِنْها ٱلفُؤادُ ٱلْمُوَزَّعُ ؟
وَكُنْتَ إِذا ما أَخْلَفَتْكَ لُبانَةٌ
وَلَفَّكَ صافٍ مِنْ رُؤاكَ مُفَزَّعُ
رَأَيْتَ سُكونَ ٱلنَّفْسِ في نَظَراتِها
وَأَبْصَرْتَ رَكْبَ ٱلْيَأْسِ كَيْفَ يُشَيَّعُ
وَكُنْتَ إِذا لاحَتْ تَبَلْتَ مِنَ ٱلْهَوىٰ
وَكِدْتَ مِنَ ٱلْبَرْحِ ٱلْمُمِضِّ تَصَدَّعُ
وَكُنْتَ وَكانَتْ ! وَٱلْفِراقُ وَساوِسٌ
يُراعُ لَها ٱلْقَلْبُ ٱلشَّجِيُّ وَيَجْزَعُ
وَقَدْ كُنْتَ تَبْكي وَٱلدِّيارُ قَريبَةٌ
فَكَيْفَ يَكونُ ٱلدَّمْعُ حينَ تُوَدِّعُ ؟!

١٩٤٨

على الطريق

وَقَفْتُ عَلَى الدَّرْبِ أَشْكو الضَّجَرْ
وَأَخشىٰ الْمُضيَّ وَأَخْشىٰ الْقَدَرْ
وَأَسْأَلُ عَنْ مَوْعِدٍ لِلْحَياةِ
أُوَدِّعُ فيهِ ضَلالَ الْبَشَرْ !
وَقَفْتُ ! فَأَيُّ يَدٍ في الْغُيوبِ
تَلُمُّ الرُّؤىٰ وَتَغولُ الذِّكَرْ
صَحَوْتُ عَلَى النّارِ في مَحْجِرَيَّ
فَلَمْ أَرَ غَيْرَ خَيالٍ عَبَرْ

لَقَدْ خَلَّفَ ٱلْأَمْسُ في ناظِرِيَّ
حُطامَ مُنىً وَبَقايا سِـــيَرْ

أَلوذُ بِها مِنْ ضَلالِ ٱلظُّنونِ
فَيَسْأَلُني ٱلْقَلْبُ : أَيْنَ ٱلْمَفَرّْ ؟!

فَأُقْـــدِمُ عَلَّ ٱلْفُؤادَ ٱلشَّقِيَّ
يُلَمْلِمُ مِنْ زَهْرِهِ ما ٱنْتَثَرْ

وَأُحْجِمُ عَنْها حِـــذارَ ٱلْغُروبِ
يُبَدِّدُ تِلْكَ ٱلرُّؤىٰ وَٱلصُّوَرْ !

فَلاةٌ تَتيـــهُ بِهـــا مُقْلَتايَ
وَتُوغِلُ بي في عُبابِ ٱلْفِكَرْ

أَخافُ أَضِلُّ ! فَتَعْيـــا ٱلْخُطىٰ
وَيَضْوىٰ ٱلْإِهابُ وَيَعْشىٰ ٱلْبَصَرْ

فَفي ناظِري لَهْفَــةٌ تَشْرَئِبُّ

وَفي أَضْــلُعي مُهْجَــةٌ تُعْتَصَرْ

وَفي شَفَــتي زَفْرَةٌ تَعْتَــلي

وَتَبْكي تَفـاؤليَ ٱلْمُحْتَضَرْ !

تُرىٰ هَلْ أَضَعْتُ ٱلطَّريقَ ٱلسَّوِيَّ

وَأَوْغَلْتُ في ظُلُماتِ ٱلْكِبَرْ ؟

أَوَلَّىٰ زَمانُ ٱلْمُنىٰ وَٱلْغِنــاءِ

وَأَقْفَرَ دَرْبُ ٱلنَّـدىٰ وَٱلزَّهَرْ

وَماتَ ٱلشَّذىٰ في ٱلرُّبىٰ وَٱلْيَفاعِ

وَجاسَ ٱلْخَريفُ خِلالَ ٱلشَّجَرْ

أَمِ ٱلْقَلْبُ شاخَ .. فَما يَزْدَهيهِ

نِداءُ ٱلْحَيــاةِ وَزَهْوُ ٱلظَّفَرْ !

وَقَفْتُ عَلَى ٱلدَّرْبِ مُنْذُ ٱلصَّباحِ
أَجوبُ ٱلثَّرىٰ وَأُجيلُ ٱلنَّظَرْ
وَها قَدْ وَنَيْتُ وَحَلَّ ٱلْمَساءْ
وَضاقَ ٱلْفَضاءْ وَغامَ ٱلْبَصَرْ
وَما زِلْتُ أَطْوي سِنِيَّ ٱلْعِجافَ
وَراءَ خَيالٍ شَحيحٍ حَذِرْ
وَما زِلْتُ ثَمَّ أَمُدُّ ٱلْيَدَيْنِ
وَأَصْرُخُ : رَبِّ مَتىٰ أَسْتَقِرْ ؟
وَما زِلْتُ أَخْشىٰ عِثارَ ٱلطَّريقِ
وَأَخْشَى ٱلضَّجيجَ وَأَخْشىٰ ٱلْقَدَرْ
وَما زِلْتُ أَسْتَنْطِقُ ٱلْعابِرينَ
وَأَرْنو إِلىٰ ٱلْمَوْعِدِ ٱلْمُنْتَظَرْ !

١٩٥٠

قصائد الكتاب

لا تذكري الشوك ٩
دعي لي الذكريات ١٥
انتظار ٢٠
أقوى من اليأس ٢٤
غفران ٣٠
بقايا سراب ٣٥
حرمان ٤٢
أخاف أن أنسى ٤٦
أنّات ٥٢
ماذا بقي ٥٧
سأم ٦٥
في الليل ٧٣
رقيـة ٨٠

موعد من السماء ٨٢
من الأعماق ٨٥
هباء ٩٢
في لهيب الذكرى ٩٨
قلق ١٠٦
ورقة ذابلة ١٠٩
فراق ١١٥
العودة ١١٩
زفرة يأس ١٢٧
أشواق ١٣١
الشبح الزائر ١٣٤
الأغنية الأخيرة ١٤٣
قبيل الوداع ١٥٠
على الطريق ١٥٨

للشاعر

كانت لنا أيام

الليل في الدروب

المطبعة الهاشمية
دمشق ١٩٥٨

8114

PB-33188
5-25
cc

NYU - BOBST
31142 00781 4562
PJ7852.U8 K3 1958 Kanat la-n